

وزارة الاستثمار

سلسلة
رواد الإستثمار




5

# الإمبراطور

عبد اللطيف أبو رجيلة

سلسلة رواد الاستثمار (٥)

# عبداللطيف أبورجيلة
# الإمبراطور


● تأليف: مصطفى بيومى

● رسوم: عصام طه
● خطوط: محمد عبدالمطلب
● ملحق الصور: أرشيف دار الهلال

# شجرة الليمون

من ليس له ماض ليس له حاضر ولا مستقبل، وماضى الاستثمار المصرى يؤذن بحاضر نلمس ثماره، ومستقبل واعد تلوح تباشيره، وما الفجر ببعيد ، هذه الصفحات بين دفتى هذا الكتاب الخامس من سلسلة «رواد الاستثمار» محاولة محمودة من وزير معتبر «الوزير محمود محيى الدين» ومن وزارة مرتبة «وزارة الاستثمار» لإعادة كتابة تاريخ الاستثمار المصرى الذى يبدو كشجرة ليمون عتيقة ، تزهر فى الربيع وتعبق رائحتها مستقبل الوطن.

الكتاب الخامس «عبداللطيف أبورجيلة.. الإمبراطور» محاولة جادة لرسم صورة جديدة، منصفة، وعادلة، لواحد من رجالات الاستثمار المصرى الذين تعرضوا لمحاولات تشويه وهدم متعمدة فى زمن مضى، ولأسباب خاصة بتلك العهود التى تنفض مصر كلها غبارها وتمسح سناجها عن وجوه مصرية ذابت عشقا فى حب هذا الوطن وعفرت وجوهها بترابه وغبرت قدميها سعيا لرفعته.

عبداللطيف أبورجيلة.. الإمبراطور ليس موضوعا لكتاب ولكنه كتاب يتذكره أولو الألباب ضمن ثلة من الحادبين على حب الوطن المفدى، ليس تأريخا، بل مزيج إنسانى وطنى فريد، وليس تجميلا فجمال ما صنعت يداه تشهد بها

كتابات المعاصرين، والتالين الفاهمين الواعين لدور الرجال الخلصاء في رفعة الوطن، ولكنه درس معتبر لأجيال من المستثمرين يشقون الطريق الوعر إلى مستقبل واعد.

حماس «دار الهلال» العريقة لإعادة طبع سلسلة «رواد الاستثمار» واصطحابها كتابا تلو الآخر مع كبرى إصداراتها «المصور» تأكيد من الدار صاحبة الدور الوطنى على الدور الوطنى الذى لعبه هؤلاء فى بناء الوطن ورفعته، وتأكيد على أن هذا الوطن يعرف قدر ومكانة أبنائه الذين ضحوا وبذلوا لكتابة اسمه بحروف من نور، درس لأجيال تسمع عنهم لماما وتتداول شذرات جد ظالمة، آن الأوان لكتابة التاريخ على نحو آخر يهدى الحيارى.

***الناشر***

# تمهيد

إن الاقتصادى المصرى الكبير عبداللطيف أبورجيلة من علامات الحياة الاقتصادية فى بدايات النصف الثانى من القرن العشرين، وقد تنوعت أنشطته الاستثمارية ومجالات عمله، لكن الاسم يقترن دائماً بخطوط الأتوبيس التى أدارها بكفاءة واقتدار فى مدينة القاهرة خلال الخمسينيات، وكانت مثالاً للدقة والانضباط والخدمة المتميزة.

لم تتح للرجل فرصة كافية لتقديم المزيد والمفيد من المشروعات الناجحة البناءة، فقد توقفت مسيرته بعد صدور قرارات التأميم وفرض الحراسة، على الرغم من أن جعبته كانت مليئة بالكثير من الأحلام والطموحات.

كان الرحيل مفروضاً عليه ولا مهرب منه، وكم يبدو مؤسفاً أن تفيد بلدان أخرى من عمله الدءوب.

يتوقف الفصل الأول من الكتيب: «محطات الرحلة»، عند بعض الملامح العامة للحياة الحافلة

بالانتقالات المكانية، من إسنا إلى إيطاليا، مروراً بالسودان والقاهرة. لكل مكان بصمته وتأثيره، وأضفى التنوع المكانى على شخصية أبورجيلة ثراء باذخاً من الخبرات والتجارب، وغذاه بخلاصة ثقافات شتى لا تعارض بينها أو تناقض، بل هو التكامل والتناغم والانسجام.

الفصل الثانى يحمل عنوان «مدرسة طلعت حرب»، ويسعى إلى عقد مقارنة موضوعية بين أبورجيلة وأستاذه الكبير طلعت حرب، فثمة مشتركات غير قليلة تجمع بينهما، ولعل التلميذ النجيب كان قادراً على تحقيق الامتداد المأمول والتواصل المنشود، وإدراك نجاح مماثل، وإضافة الكثير والمزيد من الإنجازات، لولا القطيعة الإجبارية التى حالت دون مواصلة ما بدأه.

فى الفصل الثالث: «مملكة الأتوبيس»، تسليط للضوء على المشروع الأكثر أهمية وشهرة فى حياة الاقتصادى الوطنى الكبير عبداللطيف أبورجيلة، الذى تحمل مسئولية جسيمة تتجاوز المفهوم الخدمى التقليدى، فى إطار العمل الاقتصادى، إلى الأفق الوطنى، وبرهن على

براعة إدارية وعلمية غير مسبوقة، أسفرت عن نجاح يضرب به المثل حتى الآن. بعد نصف قرن ويزيد، يبدو الاحتياج قائماً لتأمل وتحليل المنهج المتبع فى إدارة المرفق الحيوى، ذلك أن المشكلة قائمة لا تزال.

الفصل الرابع: «كلمات ودلالات»، وفيه توقف أمام بعض المقولات الموجزة المهمة لعبداللطيف أبورجيلة، تناثرت فى حواراته وأحاديثه الصحفية، وتكشف عند اجتماعها عن فلسفة «ابن البلد» التى تخلو من التقعر والتعقيد. وفى هذه الكلمات نجد حصيلة الأفكار والرؤى التى كان الاقتصادى الجاد مسلحاً بها ومؤمناً بجدواها وناصحاً بالاعتماد عليها، وهى دروس ونصائح جديرة بالاهتمام، ففيها بساطة لافتة للأنظار، وعمق يعكس ملامح التجربة الثرية، وتجسيد للانتماء الوطنى الصادق البعيد عن الشعارات الجوفاء والادعاء الزاعق.

يبقى الفصل الخامس والأخير عن «الزمالك»، القلعة الرياضية الشامخة التى انتمى إليها عبداللطيف أبورجيلة، وكان له شرف ترؤس

مجلس إدارة النادى العريق لفترة تزيد قليلاً على عامين، شهدت إنجازات ونجاحات، على المستويين الرياضى والإنشائى، ويبرهن الرجل عملياً على حسه الرياضى المرهف، وإيمانه بثقافة التسامح ونبذ التعصب، والقدرة غير المحدودة على العطاء.

فى «الخاتمة» مستخلصات ونتائج مستمدة من الفصول السابقة، التى اجتهدت لتقديم الملامح العريضة فى حياة اقتصادى وطنى كبير، قدم الكثير فى هدوء وتواضع، وانسحب مضطراً عندما أجبر على الرحيل، لكنه لم يحمل حقداً أو ضغينة، ذلك أنه عاش إلى اليوم الأخير رجل عمل فى المقام الأول، يجد متعته فى الإضافة والتشييد.

مصطفى بيومى

# الفصل الأول
# محطات الرحلة

- ١ -

الملمح الأكثر بروزاً في رحلة عبداللطيف أبورجيلة يتمثل في المحطات المكانية الكثيرة التي تقترن باسمه، فهو ابن مدينة اسنا الصعيدية، والنشأة في السودان، والتعليم والعمل الأول في القاهرة، والخبرة العلمية والعملية مكتسبة في لندن وروما، والصفقة الأولى في إيطاليا، والمزيد من الشهرة والتوسع والنجاح في القاهرة من جديد، وبعد التأميم يتوزع النشاط بين إيطاليا والسودان، وفي أعقاب الأخذ بسياسة الانفتاح الاقتصادي يعود إلى مصر دون استقرار فيها.

ليس في تاريخ رواد الاستثمار المصري من يشبهه في تعدد محطات الانتقال من مكان إلى مكان، ومن كل هذه الأمكنة كان عبداللطيف أبورجيلة يتعلم ويضيف إلى خبراته وتجاربه، ويكتسب من روح المكان الذي يرتبط به سمة يضيفها إلى شخصيته. تتراكم الخبرات المتنوعة لتشكل في محصلتها النهائية اقتصادياً بارعاً، ذلك الرجل البسيط المتواضع المثقف المرح الحكيم، الذي عاش ليستمتع بالعمل والنجاح، ويجد المتعة الكبرى في الإضافة والإنجاز.

- ٢ -

منذ نهاية القرن السابع عشر، عاشت أسرة «أبورجيلة» فى إسنا، ومثلت مع عائلتى «أبوالعلا» و«حزين» الثقل الفاعل المؤثر، فمن هذه العائلات الثلاث يكون العمدة وأعضاء المجالس النيابية.

الأب مزارع معروف من أعيان إسنا، وكان جده لأمه حسن عبدالمنعم ممثلاً للحكومة المصرية فى السودان.

عند اقتراب موعد ولادة عبداللطيف، سافرت أمه لتلده فى رعاية أهلها المقيمين فى «أم درمان»، ومن هنا يسهل اكتشاف جذور العلاقة الوثيقة التى ربطت الاقتصادى الكبير بالسودان، فقد وُلِدَ هناك، واجتاز مرحلة التعليم الأولى.

عاش عبداللطيف أبورجيلة عمره كله صعيدياً يعتز كثيراً بانتسابه إلى الصعيد، ويفخر بالبيئة وما تتسم به من تقاليد وفنون، ولعل الأغنية الشعبية الأقرب إلى قلبه، والتى كان يترنم بها فى مجالسه، هى تلك التى تتغنى بكوبرى إسنا، وتقول فى عفوية ورقة:

«يافايت على كوبرى إسنا
لفحنا الهوى نعسنا
واللى شبكنا يخلصنا»

ويعلق أبورجيلة كاشفاً عن إعجابه غير المحدود بمثل هذه الكلمات البسيطة: «ما أرق هذا النظم الشعبى فى لهجته الصعيدية. لقد أحسست بجمال إسنا وجمال كوبرى إسنا الذى أوحى للمنشد بهذه الأغانى الرقيقة».

- ٣ -

بعد التعليم الأولى فى السودان، جاء عبداللطيف أبورجيلة إلى القاهرة، والتحق بالمدرسة السعيدية الثانوية. لم يكن تلميذاً نابغاً أو خائباً، فهو مجتهد يقف فى المنطقة الوسطى، وكانت الألعاب الرياضية تستغرق معظم وقته، فهو حارس مرمى الفريق الثانى بالمدرسة، ولاعب تنس، وشخصيته اجتماعية مرحة.

التحق بكلية التجارة، وخلال سنى الدراسة فيها مارس العمل التجارى مع بعض أقاربه على نطاق ضيق، وكان ينفق ما يربحه من هذه العمليات المحدودة على تعليمه وطعامه وملبسه، أو على حد تعبيره: «كنت أعول نفسى».

عمل عبداللطيف أبورجيلة بعد تخرجه فى بنك مصر، وتعلم الكثير من تأمله لتجربة نجاح أستاذه طلعت حرب. سافر إلى لندن وروما، واكتسب تجربة عملية

أضافها إلى العلم النظرى، وعاد إلى القاهرة ليستقيل من الوظيفة ويبدأ نشاطه الاقتصادى المستقل. عاد عازماً على منافسة التجار الأجانب فى مضمار الاستيراد والتصدير، وهو النشاط الذى كان مغلقاً عليهم، أما عن رأس المال الذى بدأ به فيبدو هزيلاً متواضعاً: أربعة وثلاثون جنيهاً!.

اشترى عبداللطيف آلة كاتبة ومكتباً وطوابع بريد، وعين موظفاً ليعاونه بمرتب لا يزيد على خمسة جنيهات فى الشهر، وبدأت رحلته مع العمل فى هدوء وثقة.

يقول فى حديث له مع السيدة سكينة السادات، نشرته مجلة «المصور» فى مارس سنة ١٩٥٩: «كانت السنة الأولى فى هذا العمل سنة كفاح بل سنة حرب، واجتزت معارك السنة الأولى، وبدأت معارك السنة الثانية، وبعد ثلاث سنوات أخرى، سارت سفينة العمل فى الطريق الصحيح، وبدأت تتجه إلى بر الأمان.

ومضيت فى طريقى هذا حتى غمرتنى الملايين كما يقولون، ومازلت - وأنا فى غمرة ملايينى - أذكر رأس مالى العظيم الذى تدفقت من هذه الملايين. لقد كانت أربعة وثلاثين جنيهاً عظيمة حقاً، لأنها أنبتت أضعاف أضعافها، كأنها الحبة المباركة التى وصفها القرآن

الكريم بأنها أنبتت سبع سنابل، فى كل سنبلة مائة حبة».

عمل شاق ونجاح وصعود، ثم إفلاس وهبوط. كانت ثروة أبورجيلة كلها فى موانىء إيطاليا ممثلة فى كميات كبيرة من البضائع، وضاع كل شىء فى غارات الحرب العالمية الثانية التى طالت بالدمار الأغلب الأعم من الأراضى الإيطالية.

أصبح وفق تعبيره الساخر: «على الحديدة»، لكنه لم يعرف اليأس، وعاود الصعود إلى القمة، مسلحاً بالعمل والأمل والإصرار.

- ٤ -

لا يتسع المجال هنا لحديث مستفيض مطول عن العلاقات المصرية الإيطالية فى النصف الأول من القرن العشرين، لكن الوجود الإيطالى فى مصر، ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً وفنياً، كان قوياً مؤثراً، ولعله مما ساعد على الاندماج والتعايش التشابه الذى لا يخفى بين الشعبين، بحكم الانتماء الواحد إلى منظومة دول البحر الأبيض المتوسط.

فى «بنت من شبرا»،رائعة الكاتب الكبير فتحى غانم، ما يبرهن بجلاء ووضوح على الدور الكبير الذى لعبه

الإيطاليون فى مصر، حتى منتصف الأربعينيات من القرن العشرين، وفى المقابل كانت إيطاليا هى المكان الأكثر اقتراناً باسم الاقتصادى الكبير عبداللطيف أبورجيلة، فقد عاش فيها سنوات طوالاً قبل ثورة يوليو، ثم عاد إليها بعد التأميم ليواصل العمل والحياة، فضلاً عن أنه تزوج من إيطالية.

كانت الزوجة «لندا» صديقة دراسة لابنة أسرة مصرية تعيش فى إيطاليا، ويشير أبورجيلة إلى أنها «صعيدية» إيطالية مثلما هو «صعيدى» مصرى، فهى من مدينة «كالا باريا» فى جنوب إيطاليا.

كان أبورجيلة من المضربين عن الزواج، لكنه تعلق بها سريعاً وتزوجها، وعاشا حياة سعيدة موفقة بلا أولاد.

الزواج من إيطالية لا يعنى موقفاً سلبياً من النساء المصريات أو إعراضاً عنهن، فأبورجيلة يرى أن المرأة المصرية تتمتع بذهن متحضر، ويقول عن زواجه: «كنت أعيش فى إيطاليا، ومصادفة التقيت بفتاة تتمثل فيها الأخلاق التى أريدها، وتزوجتها. لا لأن هناك عيباً فى المرأة المصرية بنت بلدى، ولكن لأننى التقيت بالزوجة التى أريدها».

كانت «لندا» بسيطة مثل زوجها، وربة بيت تتولى مسئولية كل المهام التى لا يتسع لها وقت الزوج المنهمك فى عمله المتواصل.

لاشك أنها تحملت الكثير، ورضيت بأن تكون زوجة محبة لرجل يشغله التفانى فى العمل عن الكثير الذى تطلبه الزوجة العادية. لم يكن أبورجيلة من المهتمين بالحياة الاجتماعية ومظاهرها الصاخبة، ويعترف بأنه لم يكن يصطحب زوجته إلى السينما إلا مرة كل ثلاثة شهور: «وأدخل فى منتصف الفيلم وأخرج قبل نهايته.. وأثناء جلوسى فى دار السينما أفكر فى برنامج الغد»!.

-٥-

اتخذ عبداللطيف أبورجيلة من إيطاليا مقراً لإقامته وعمله منذ قبيل الحرب العالمية الثانية، وزاول هناك نشاطاً تجارياً واسعاً ناجحاً، أتاح له أن يكون ثروة طائلة.

عاد إلى مصر المرة الأولى قبيل نهاية عام ١٩٤٩، بعد انقطاع لأكثر من اثنتى عشرة سنة ومن حصيلة أمواله اشترى أبورجيلة قطعة أرض فى وسط القاهرة، تبلغ مساحتها ستة آلاف متر، محدودة بشوارع سليمان

ومعروف وشمبليون وعبدالحميد سعيد، كما اشترى مزرعة تبلغ مساحتها أربعمائة فدان حدائق فى منطقة عين شمس، لكنه عاد إلى إيطاليا من جديد فى نهاية العام ١٩٥٢، بعد شهور قليلة من ثورة يوليو.

كان استدعاؤه لمصر فى صيف سنة ١٩٥٤ رغبة من الإفادة من خبراته وأمواله وقدراته الإدارية، وتعبيراً عن الثقة فى إخلاصه ووطنيته، وهو ما تجلى بوضوح فى صفقات السلاح التى أمد بها الجيش المصرى بعد نهاية حرب فلسطين سنة ١٩٤٨.

لم يكن فى نشاط عبداللطيف أبورجيلة المتنوع بين عامى ١٩٥٤ و١٩٦١ ما يؤخذ عليه، لكنه تعرض مثل غيره للتأميم وفرض الحراسة، وهو ما اضطره أن يغادر مصر من جديد، ويجد فى إيطاليا والسودان وغيرهما من البلدان متسعاً لعمله الاقتصادى.

كان يقترب من الخمسين عندما دُفع إلى الهجرة ومغادرة الوطن، وكان نشاطه يبشر بأنه الامتداد الحقيقى لأستاذه الرائد طلعت حرب، لكنه لم يستمر، وفقدت مصر اقتصادياً وطنياً من طراز فريد.

# الفصل الثانى
# مدرسة طلعت حرب

- ١ -

يقترن اسم الاقتصادى الرائد طلعت حرب ببنك مصر، المشروع الذى نشأ باكتتاب شعبى، فلم تدعمه حكومة أو تشرف عليه وتوجهه، وأنشأ مشروعات عملاقة فى مجالات شتى، وبرهن عملياً على قدرة الإنسان المصرى الجاد المجتهد أن ينتج وينجح، وينافس الأجنبى ويتفوق عليه.

فى مدرسة طلعت حرب تخرج تلاميذ نجباء، قادوا سفينة العمل الاقتصادى الوطنى من بعده، وواصلوا مسيرة العطاء المسكون بالروح الوطنية، والرغبة الصادقة فى اقتحام كل جديد. لم تكن الوطنية عندهم شعارات فضفاضة وكلمات إنشائية رنانة، لكنها عمل شاق متصل يحقق تراكماً، وطموح إلى نيل الاستقلال الاقتصادى الذى لا يكتمل إلا به الاستقلال المنشود.

طلعت حرب هو الأب الروحى لكتيبة كبيرة من المستثمرين ورجال الأعمال، يختلفون فيما بينهم منهجاً وسلوكاً، لكن المشترك الراسخ هو أن يحتذوا خطى الأستاذ والمعلم، وأن يستلهموا المبادىء التى بشر بها ودعا إليها.

عبداللطيف أبورجيلة من نوابغ الخريجين فى مدرسة

طلعت حرب، ولا تستطيع العين الموضوعية المنصفة أن تخطىء أوجه التشابه غير القليلة التى تجمعهما، على المستويين العملى والشخصى.

- ٢ -

تخرج عبداللطيف أبورجيلة فى مدرسة التجارة العليا أوائل الثلاثينيات، وسرعان ما نجحت أسرته فى إلحاقه بوظيفة فى بنك مصر، المؤسسة الوطنية العملاقة التى يديرها طلعت حرب، معتمداً فى إدارته على منهج الإعداد العلمى، مدركاً أن صناعة الكوادر الواعية المسلحة بالدراسة المنهجية والتجارب العملية، هى مقدمة للنجاح الاقتصادى وبناء النهضة.

كان تأهيل موظفى البنك من خلال البعثات الدراسية إلى أوروبا من أهم ملامح سياسة الإعداد العلمى التى اتبعها طلعت حرب؛ وبفضل هذا الأسلوب الرائد حظى الموظف الشاب عبداللطيف أبورجيلة برحلتين مهمتين إلى لندن وروما؛ وكانت الحصيلة الإيجابية هى المزج الخلاق بين الدراسة النظرية والاحتكاك العملى المليء بالدروس الثمينة فى البنوك والشركات الأكثر عراقة وخبرة.

فى رحلته الأولى إلى العاصمة الإيطالية، قام

أبورجيلة بزيارة العديد من الشركات والوكالات التجارية، واستطاع أن يعقد صفقة لتوريد بعض المحاصيل الزراعية، وانتقل بذلك الفعل من دائرة الموظفين المجتهدين إلى ساحة رجال الأعمال الطموحين.

كان منطقياً أن يستقيل أبورجيلة من وظيفته فى البنك بعد عودته، وهذه الاستقالة هى بداية ميلاد اقتصادى كبير لا يتعارض انتماؤه إلى مدرسة طلعت حرب مع حقه المشروع فى العمل الخاص بعيداً عنها.

مع اقتراب طلعت حرب من النهاية، بعد حياة حافلة بالكثير من الإنجاز، كان الاقتصادى الشاب يصعد ويقترب من القمة، مؤثراً أن يكون ذلك بعيداً عن مصر، لكنه بقى مديناً لأستاذه بالكثير الذى تعلمه وأتقنه، ولا يملك من يتابع السيرتين إلا أن يرصد أوجه التشابه والتماثل فى كثير من المناحي، ذلك أن للنجاح وسائله وسبله، وقد كان كلاهما ناجحاً.

- ٣ -

كان التوسع والتنوع فى الأنشطة الاستثمارية من أهم ملامح العمل الاقتصادى للرائد العظيم طلعت حرب، فقد امتد عمل شركاته العملاقة ليشمل حليج

الأقطان والنقل والملاحة ونسج الحرير والغزل والنسيج ومصايد الأسماك والكتان والطيران والورق والطباعة وشركات التأمين والسياحة وبناء العقارات، فضلاً عن السينما والمسرح.

ثم جاء عبداللطيف أبورجيلة ليسير فى الطريق نفسه، فهو أكثر خريجي مدرسة طلعت حرب تنوعاً فى الأنشطة وإيماناً بضرورة التعدد. قد يقترن اسمه بالنشاط الأهم فى مجال النقل الداخلى بالأتوبيس، لكنه عمل فى مجال تصدير الحبوب والحاصلات الزراعية، وكان توريده للأسلحة عملاً وطنياً قام به بين عامى ١٩٤٨ و١٩٥٢، وهو ما عرضه للتهديد والاعتداء من القوى الصهيونية فى إيطاليا، وشارك أبورجيلة فى تأسيس شركة الخزف والصينى مع البنك الصناعى، وتعاون مع وزارة الصناعة لبناء مصنعين للبايات والفرامل، وأسس شركة القاهرة للتأمين، وشركة أخرى للصناعات الأسمنتية، وهى الشركة التى لعبت دوراً إيجابياً بارزاً فى تعمير مدينة بورسعيد بعد العدوان الثلاثى.

وبالإضافة إلى هذه الأنشطة كلها، كان عبداللطيف أبورجيلة من عشاق العمل الزراعى واستصلاح

الأراضى، وكانت مزرعته النموذجية تصدر إنتاجها من المناجو والموالح إلى الدول الأوروبية، وخاصة السويد. ويُذكر أيضاً من مجالات عمله، أنه مالك فندق «سميراميس» فى جزيرة كابرى الإيطالية.

ما الدافع إلى هذا التنوع الذى لا يوجد شبيه له بعد رحيل طلعت حرب؟!. السر يكمن فى إيمان أبورجيلة بضرورة أن «تجرى الفلوس فى المشاريع»، فهو لا يكنز النقود بلا استثمار، ويفخر فى أحاديثه دائماً بأن مشروعاته المتنوعة تعول آلاف العائلات.

مثل أستاذه طلعت حرب، كان طموح أبورجيلة الدائم أن يحقق النجاح قبل الثراء، وأن تلعب ثروته دوراً اجتماعياً يتجاوز المصلحة الشخصية إلى التنمية الشاملة، ولذلك يتحول كل عائد فائض إلى مشروع جديد ناجح، فلا معنى للركود والجمود والتقوقع.

- ٤ -

المشترك الثانى بين طلعت حرب وأبورجيلة يتمثل فى «الإصرار والتحدى»، فهما من أصحاب الإرادة الفولاذية والقدرة غير المحدودة على التحمل ومواجهة الصعاب.

بالكد والجهد والعمل الدءوب كون أبورجيلة ثروة من

عمله فى إيطاليا، وبالمزيد من العمل تصاعد نجاحه حتى وصل إلى الذروة. يقول أبورجيلة: «أنا طوال عمرى لم أفكر فى أن أكون مليونيراً.. صحيح أننى وضعت هدفاً لجهادى وكفاحى، ولكننى لم أقدر لهذا الجهاد وهذا الكفاح ثمناً.. كان هدفى الوحيد هو أن أنجح.. أنجح فى أى عمل أقوم به.. المسألة تبدأ إذن من تحت.. أن تفكر فى أن تنجح.. أن تكون مستعداً للعمل.. أن تكون مستعداً لأن تستمر فى عملك.. أن تكون شجاعاً فى هذا العمل.. وأن تكون أيضاً ذكياً، فإن باب الملايين لا يفتحه الأغبياء».

لقد واجه أبورجيلة فى حياته العملية كثيراً من الصعوبات والمحن، لكنه لم يكن قادراً على الاستسلام لأسباب تتعلق بمبادئه الأصيلة العنيدة الكامنة فى أعماقه، ذلك أنه مستعد دائماً أن يبدأ من جديد، وأن تكون بدايته من القاع. المال عنده ليس سلاحاً، فالعمل هو الأداة الوحيدة لتحقيق المال، ولذلك يأتى العمل فى المقدمة. لم يكن ينام إلا خمس ساعات فى اليوم، والساعات الباقية مخصصة للعمل الذى يمتعه ولا يرهقه.

كان أبورجيلة قوياً ذا عزيمة وإرادة فى مواجهة

الضغوط الصهيونية التى تعرض لها فى إيطاليا، وكان حاسماً جريئاً فى مواجهة المؤامرات التى تعرض لها بعد عودته إلى مصر. كتب للمسئولين يعرض عليهم أنشطته الاقتصادية ومصادر ثروته في شفافية لا أكاذيب فيها، ويقول مباهياً مفاخراً: «هذا هو سجل نشاطي أعرضه فخوراً مطمئن الضمير إلى أننى قد أديت واجبى وأننى قد ساهمت بجهدى وأموالى فى خدمة المصلحة العامة».

- ٥ -

كان طلعت حرب من «أبناء البلد»، فهو يتسم بالبساطة والمرح والابتعاد عن التقعر والادعاء. كلمة «ياخويا» من لوازمه اللغوية الشهيرة، يقولها للجميع مقربين كانوا أم غرباء، محتذياً فى ذلك الاستخدام الشائع للكلمة فى الحياة اليومية، ودلالتها على الرغبة فى التقارب والاندماج بلا حواجز.

لم يكن طلعت حرب من عشاق الحياة الاجتماعية الصاخبة، فهو يستيقظ مبكراً، ويعمل ساعات طويلة بلا كلل، ولا يعترف بالأجازات، ومتعته الوحيدة فى لعبة «الدومينو»، وخلال جلسات اللعب لا يتوقف عن مناقشة برامج العمل.

أبورجيلة بدوره كان من أبناء البلد، معتزاً بصعيديته وتقاليد المكان الذى نشأ وتربى على قيمه وتقاليده ومبادئه. المظاهر الشكلية لا تهمه، والأجازات غائبة تماماً عن قاموسه، والأعياد يقضيها فى مكتبه، ومتعته الوحيدة هى لعبة كرة القدم.

لم يذهب يوماً إلى طبيب، وعلاجه الأثير لنزلات البرد التقليدية أن يتناول الشاى بالليمون. يركب سيارة من طراز «أوبل» لأنها بسيطة عملية، ولا يجد فارقاً بينها وبين الكاديلاك!.

الانتماء الشعبى الأصيل مشترك مهم بين طلعت حرب وأبورجيلة، وهما يحكمان المال ويتحكمان فيه، فلا يسمحان للنقود أن تحكمهما وتعيد تشكيل المسار الذى يرتضيانه ويتمسكان به.

الصورة النمطية الشائعة للميلونيرات من كبار الاقتصاديين ورجال الأعمال تتمثل فى مزيج من الغطرسة والتعالى وإيثار الأبراج العاجية للاعتزال عن إيقاع الحياة اليومية الشعبية التى يمارسها العاديون من الناس، ولم تكن حياة أبورجيلة تحمل شيئاً من ملامح هذه الصورة السائدة، فهو مرح خفيف الظل، بسيط تلقائى، يترنم بالمواويل الصعيدية منتشياً

ببساطتها وعمقها، ولا يكاد من يتعامل معه يصدق أنه يملك الملايين ويدير مشروعات عملاقة.

لم يكن زاهداً فى المتعة، لكن متعته هى العمل، وسعادته فى أن يولد مشروع جديد وينمو ويكتمل.

- ٦ -

الحياة المتقشفة تمثل ملمحاً آخر يشترك فيه الرائد الاقتصادى طلعت حرب وتلميذه المتفوق عبداللطيف أبورجيلة. كان طلعت باشا يلبس فى منزله الجلباب الأبيض وفوقه عباءة، والطعام الشرقى هو المفضل والأثير على مائدته، والمزاج العام بسيط لا يختلف فى شىء عن العاديين من الناس.

على الدرب نفسه سار أبوجيلة، فهو مع الملايين التى يملكها وتتيح له حياة الترف والرفاهية، كان بسيطاً متواضعاً فى ملبسه ومأكله ومشربه ومسكنه، ليس عن بخل أو شح، بل لأنه يعتنق فلسفة يتمسك بها: «أنا أخشى متعة المال.. أخشاها لأنى لا أريد أن أتعودها. لا أريد أن أتعود السكن فى قصر يملؤه الخدم والحشم.. ولا أريد أن أتعود الجلوس على مكتب مطعم بالذهب.. ولا أريد أن أتعود ركوب الكاديلاك.. فى إمكانى أن أفعل كل هذا وأكثر منه.. ولكننى لا أريده».

لماذا لا يريده؟!. لأنه يملك رؤية بديلة متجانسة قوامها أن المتعة الحقيقية في العمل والنجاح، وأن اعتياد المتع الحسية والمادية قد يمثل عائقاً ذا مردود سلبي عندما تتبدل الأمور وتسوء الأحوال ويعز الحفاظ على مثل هذه المظاهر البراقة.

كان أبورجيلة ذكياً بسيطاً في اختيار مفرداته وألفاظه، ومثل طلعت حرب لم يعرف الإسراف أبداً، وبنص كلماته: «أنا لست مسرفاً. أنا رجل بسيط في كل شيء وكذلك زوجتي. أنا لا أشرب ولا أقامر، وزوجتي تتوخى أبسط الوسائل. وعندما نكون في إيطاليا نركب الأتوبيس والترام في تنقلاتنا بدافع من البساطة الطبيعية غير المتكلفة».

- ٧ -

المشترك الأهم بين طلعت حرب وأبورجيلة هو قوة الانتماء الوطني، والعمل الدءوب من أجل الصالح العام. كلاهما بعيد عن الممارسة السياسية بالمعنى المباشر الشائع للكلمة، لكنهما يترجمان الشعور الوطني من خلال عمل إيجابي بناء بلا ضجيج، يضيف إلى الثروة العامة التي تتجاوز الأفراد، ويتيح فرص العمل، ويقدم الخدمات، وينافس الأجنبي طامحاً إلى التفوق عليه.

بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨، لم يتردد الوطنى المخلص عبداللطيف أبورجيلة فى تقديم كل دعم ممكن للجيش المصرى، وكتب فى مذكرة رفعها للوزيرين عبداللطيف بغدادى وحسن إبراهيم، رداً على بعض الاتهامات الباطلة التى وجهت إليه: «لا شك أنه يعز على أى مواطن صالح أن يجد نفسه موضع التشكيك والاتهام، وخصوصاً إذا كان هذا المواطن من رجال الأعمال الذين يعتمدون على الثقة باسمهم».

مواطن صالح، ومهنته رجل أعمال، وعندما طلبت منه وزارة الحربية تمويل صفقات الأسلحة، التى كان الحظر مفروضاً عليها بعد الحرب، بادر الرجل بالاستجابة، ولم يعبأ بما تعرض له من تهديد واعتداء قام به الصهيونيون فى إيطاليا، وقُدم بعضهم إلى المحاكمة وقُضى عليهم بالسجن.

فى السادس والعشرين من أغسطس سنة ١٩٥٧، كتب عبداللطيف أبورجيلة «إقراراً» قدمه إلى الحكومة المصرية، وقال فيه:

«بما أننى سبق أن تقدمت إلى السلطات المختصة فى إيطاليا بطلب تحويل إيراداتى إلى مصر ولكن هذه السلطات رفضت هذا الطلب بحجة أننى لم أقم

باستيراد باقى المبالغ المطلوبة لى من وزارة الحربية والناشئة عن العقود التى أبرمتها معها بشأن استيراد أسلحة من إيطاليا والتى كنت ممولاً فيها.

وبما أننى قد أعدت السعى للموافقة على إجراء هذا التحويل فى صورة بضائع أقوم بتصديرها إلى مصر وقد قمت فعلاً باستيراد ماكينات لأعمال الطرق فى حدود مبلغ خمسة وثلاثين ألف جنيه فى عام ١٩٥٥. ومازلت أسعى لإتمام هذا التحويل فى صورة بضائع على نطاق أوسع وقدمت بذلك طلباً إلى السلطات الإيطالية والمصرية لاستيراد بضائع فى حدود مائة ألف جنيه بدون مقابل.

بما أننى سبق أن أثبت فى إقرارات الضريبة على الإيراد العام إيراداتى فى الخارج.

وإظهاراً لتعاونى الكامل فإنى أقرر بموجب هذا أننى على استعداد لتحويل جميع إيراداتى فى إيطاليا إلى مصر. وإذا لم ينجح مسعاى فى ذلك فإنى سأطلب من السلطات المصرية معاونتى لدى السلطات الإيطالية للحصول على هذا التحويل».

هل يحتاج هذا الإقرار إلى تعليق؟!. إنه دليل ساطع على وطنية خالصة لا تعرف الأنانية والحفاظ على

المصالح الشخصية، لكن الرغبة فى العمل العام لم تشفع له، وصدر قرار التأميم دون تقدير للدور الوطنى الذى تفانى فى القيام به، ودون نظر إلى المشروعات الناجحة التى يديرها بكفاءة ودراية، وأهم هذه المشروعات يتمثل فى قطاع النقل بالأتوبيس داخل القاهرة.

# الفصل الثالث

# مملكة الأتوبيس

- ١ -

النقل من أهم المعايير فى قياس مستوى التقدم الاقتصادى والاجتماعى للشعوب المعاصرة، فالأمم التى تملك شبكات نقل تتسم بالكفاءة العالية هى المؤهلة والقادرة على تحقيق النمو الاقتصادى وتفعيل عملية التطوير فى الواقع الاجتماعى، ومع تدهور النقل تتأثر كافة الأنشطة الاقتصادية سلباً، ويتراجع مستوى الأداء. وليس أدل على حيوية وخطورة النقل من تركيز «آدم سميث» فى كتابه الشهير «ثروة الأمم» على أن هذه الثروة لا تتكون أو تكتمل إلا عبر ثلاث دعائم: التخصص والتسويق والنقل.

لم تكن مشكلة النقل، بعيداً عن الإنتاج الزراعى والسلعى، مطروحة فى مصر خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، فعلى المستوى الفردى كانت الدواب وعربات الكارو هى الوسيلة الشعبية المعتمدة الشائعة، أما كبار الأعيان والأغنياء فيركبون عربات فاخرة تجرها الجياد. ولعل الكاتب الكبير نجيب محفوظ هو أفضل من يقدم الشهادة الإنسانية الصادقة عن الواقع المصرى حتى منتصف العقد الثانى من القرن العشرين، ففى قصة «المهد»، مجموعة «القرار الأخير»،

يستعرض نجيب مجمل رحلته مع الحياة، ومن معالم الرحلة «موقف الحمير» فى ميدان العتبة الخضراء، حيث يقترح الطفل الراوى على أبيه أن يركبا حمارين فى طريق العودة إلى المنزل، بدلاً من عربة «سوارس»، لكن الأب يسخر من رغبته قائلاً: «الله يخيب نوقك، لا فائدة من محاولة تمدينك»!.

كانت عربة «سوارس»، ذات الطابع البدائى البطىء، هى قمة التمدين فى ذلك الزمن البعيد!.

- ٢ -

- كان الأجانب هم المسيطرين على وسائل النقل فى مصر، ففضلاً عن الهيمنة الكاملة على السكة الحديدية والتلغراف والتليفون، كان الاحتكار الشامل ممتداً إلى خطوط الترام فى القاهرة والإسكندرية، أما فى مجال شركات الأتوبيس فقد انفردوا بالعمل دون مزاحمة حقيقية من المصريين، وثمة أسماء غربية شهيرة مهمة، مازال بعضها شائعاً بعد تحريفه، مثل «أمنيبوس» و «كافورى» و«سيسيليا».

لم يكن احتكار الشركات الأجنبية للمشروعات الاقتصادية فى مجال النقل مما يروق للقوى الوطنية، ولذلك طالب بعض أعضاء مجلس النواب، فى جلسة

الخامس والعشرين من يوليو سنة ١٩٣٨، بعدم تجديد أى عقد تنتهى مدته الزمنية لشركات الأتوبيس الأجنبية، على أن تتولى الحكومة حق الاستغلال، أو تمنح الامتياز لشركات مصرية، لكن الحكومة لم تستجب لهذه المطالب.

على الرغم من هذه الهيمنة، وبفضل النهضة الاقتصادية الوطنية وثيقة الصلة بالحركة السياسية والحراك الاجتماعى، بدأت محاولات التمصير فى الثلاثينيات، وانتبه قطاع من الرأسماليين المصريين إلى أهمية وضرورة الاستثمار فى هذا المجال الحيوى، ومن ذلك تأسيس شركة أتوبيس الصعيد، التى تولت الخدمة فى خطوط الوجه القبلى، وشركة أتوبيس الشرقية والدقهلية، وتظهر فى هذا السياق أسماء مثل أحمد عبود ودنقل.

لقد تأثرت شركات الأتوبيس الأجنبية بأجواء الحرب العالمية الثانية وما ترتب عليها من متغيرات، ومع قيام ثورة ٢٣ يوليو، كان لابد أن تتغير الخريطة جذرياً، أما رجل الساعة القادر على التمصير فى إطار وطنى ملتزم فهو عبداللطيف أبورجيلة. كان رجال الثورة هم من سعوا إليه واتصلوا به حيث يقيم فى إيطاليا، وطالبوه

بالعودة ليسهم فى النهوض بالمرفق الحيوى الذى يعانى من التدهور والانهيار.

- ٣ -

فى صيف سنة ١٩٥٤، اتصل السيد عبداللطيف البغدادى، وزير الشئون البلدية، بعبداللطيف أبورجيلة ليستحثه على العودة إلى مصر، وبمجرد وصوله تحدث معه الوزير عن تسيير خطوط أتوبيس المجموعات الأولى والثانية والسادسة فى مدينة القاهرة، وهذه الخطوط هى الأكثر أهمية وخطورة، والأكثر معاناة من التعثر والفوضى.

يقدم عبداللطيف أبورجيلة نفسه توصيفاً دقيقاً موثقاً لما كانت عليه الأمور قبل أن يتولى المسئولية التى وقعت على عاتقه. كانت الشركة الدولية للنقل والهندسة تتولى العمل فى المجموعة السادسة، لكنها أفلست بعد أن زادت ديونها على المليون جنيه، وفشلت بلدية القاهرة فى القيام بعمليتى التشغيل والإدارة. المجموعة الثانية كانت من نصيب شركة أتوبيس مينا، وقد أفلست أيضاً بعد ارتباك طويل. أما المجموعة الثانية فكان المسئول عنها رجل الأعمال عمر هيكل، الذى تعثر فى تنظيم الخدمة، وتأخر لفترات طويلة فى دفع أجور العمال

والموظفين، وهو ما دفع البلدية إلى فرض الحراسة الإدارية، وسرعان ما أشهر عمر هيكل إفلاسه هو الآخر!.

ملامح الخريطة قوامها الفشل والتخبط والاضطراب وسوء الإدارة، وكان منطقياً أن يتدهور المرفق الحيوى الذى يقدم خدمات يومية لا يمكن الاستغناء عنها لملايين من المواطنين العاديين. للوهلة الأولى لا يبدو الاستثمار فى هذا القطاع المترنح مجدياً أو مبشراً بالربح، لكن الرجل لم يتردد لحظة واحدة فى القبول، من منطلق المصلحة الوطنية قبل المنفعة المادية.

لعل فى اللجوء إلى عبداللطيف أبورجيلة ما يكشف عن الثقة فى قدراته الاقتصادية وحسه الوطنى من ناحية، وينم عن إحساس رجال الثورة بضرورة المواجهة السريعة الحاسمة للمشكلة المعقدة من ناحية أخرى.

- ٤ -

تحمل أبورجيلة مهمة وطنية جليلة ومسئولية اقتصادية خطيرة فى ظل أوضاع بالغة التدهور، ولم يكن اللجوء إليه إلا بعد محاولات عديدة فاشلة، تمثلت فى مفاوضة الوزارة لكثير من رجال المال والأعمال والمؤسسات الاقتصادية، مثل المهندس أحمد عبود وبنك

مصر وشركة ترام القاهرة، لمعرفة مدى قدرتهم على التعامل مع مرفق الأتوبيس، لكن الشروط التى طرحها هؤلاء لم تكن مرضية أو مقبولة، ومنها أن تضمن بلدية القاهرة تحقيق الربح، أو تقدم قرضاً بمليون جنيه، وألا يكون هناك التزام باستخدام العمالة القائمة الموروثة من إدارات سابقة!.

لم يفرض أبورجيلة شروطاً، ولم يطلب قروضاً أو ضمانات، ووافق على تحمل حقوق جميع العمال والموظفين، بل إنه التزم بسداد مبلغ خمسين ألف جنيه مستحقة للبلدية قبل الملتزم السابق عمر هيكل، ودفع أيضاً أجور العمال المتأخرة عن المراحل السابقة.

شرع عبداللطيف أبورجيلة فى العمل الإيجابى السريع، واستورد سيارات أتوبيس من أشهر الماركات العالمية وأكثرها كفاءة: البرلييه والشوسون من فرنسا، والمرسيدس من ألمانيا. وتتجلى مهارته التفاوضية مع المنتج الأجنبى فى الأسعار التى اشترى بها، فكان سعر سيارة الأتوبيس المرسيدس ثلاثة آلاف جنيه، بينما اشترت بلدية الإسكندرية السيارة نفسها بثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين جنيهاً!.

خلال عامين من بداية العمل، كان لدى خطوط

القاهرة أكثر من أربعمائة سيارة أتوبيس، تقدم خدمات راقية، وبكفاءة غير مسبوقة. مواعيد منضبطة، وسائقون مدربون على فن القيادة بالمفهوم الشامل للكلمة، وتفتيش صارم يحول دون الاستهانة بالراكب والإساءة إليه وإهدار وقته، وجراچات حديثة مجهزة لإيواء السيارات وصيانتها ونظافتها.

بنى عبداللطيف أبورجيلة أكبر جراچين فى مدينة القاهرة، أولهما عند مدخل القبة على مساحة ثلاثة عشر فداناً، وثانيهما بالقرب من نفق الجيزة، فضلاً عن جراج ثالث كان ملكاً لشركة الأمنيبوس العمومية بشارع اسطبلات الطرق فى حى بولاق، اشتراه أبورجيلة وحدثه لينضم إلى شركته العملاقة.

كانت الجراچات التى بناها الاقتصادى الكبير بمثابة الأنموذج الذى يحتذى أحدث التطورات فى عالم النقل العصرى، فهى مزودة بورش ميكانيكية للصيانة وإصلاح الإطارات، وتضم أماكن خاصة فسيحة لعمليات التشحيم والتموين، ومكاتب للموظفين والجهاز الإدارى، ونوادى للعمال، وعيادات طبية متكاملة لمتابعة الأحوال الصحية وعلاج المرضى من العمال والموظفين.

تجاوزت تكلفة الجراچات الثلاثة وملحقاتها نصف مليون

جنيه، وبرهن أبورجيلة من خلالها على الرؤية الشاملة الواعية التى لا تتعجل الربح ولا تسعى إليه بوسائل عشوائية غير مدروسة، ذلك أن رهانه الصحيح هو تقديم خدمة جيدة، عبر منهج علمى، كمدخل لا غنى عنه للازدهار والنجاح.

لم يكتف عبداللطيف أبورجيلة بذلك كله، فقد اتجه إلى العمل الصناعى وثيق الصلة بالنشاط الخدمى الحيوى، وشارك فى تأسيس مصنعين بالتعاون مع وزارة الصناعة: مصنع للبايات، وآخر لتيل الفرامل.

عندما تعرضت مصر للعدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦، بادر عبداللطيف أبورجيلة بوضع أتوبيسات شركته تحت تصرف القوات المسلحة، وتكفل بمسئولية تموينها ودفع أجور سائقيها. لم ينشغل بالتفكير فى الانخفاض الكبير للإيرادات نتيجة للحرب والغارات الجوية وحالة الإظلام، وتجاوزت حساباته ثنائية الأرباح والخسائر، ذلك أن الرجل كان وطنياً مخلصاً منتمياً، يخلو من داء الأنانية وقصر النظر.

-٥-

فى إطار الرؤية التكاملية ذات الأبعاد الاستراتيجية الطموحة، لم يقف نشاط عبداللطيف أبورجيلة

واستجابته لدواعى المصلحة الوطنية العامة عند حد تسيير خطوط الأتوبيس فى القاهرة، فقد كان مؤمناً أن التقدم الحقيقى للبلدان يُقاس بكفاءة المواصلات وحالة الطرق. عندما طرحت مصلحة الطرق والكبارى عمليات طريق إسكندرية الزراعى، وطريق شربين - كفرالشيخ، وغيرها، تقدم أبورجيلة لتنفيذ أربع من عمليات تعبيد الطرق. ولضمان أعلى مستوى من الجودة فى التنفيذ، استعان بمجموعة من الخبراء الفنيين الإيطاليين، ليس لأن إيطاليا هى البلد الذى ارتبط به وعاش فيه طويلاً، بل لأن هؤلاء الخبراء من أصحاب الخبرات المشهود لها فى شق الطرق، وإنجازاتهم فى ليبيا شاهد لا يكذب.

استورد أبورجيلة معدات وماكينات من إيطاليا بخمسة وثلاثين ألف جنيه، وراعى سرعة الاستيراد دون إجراءات عقيمة حتى يبدأ العمل سريعاً، وبذلك نجح الاقتصادى النشيط فى تأسيس بيت خبرة وطنى حقق إنجازات هائلة، وكان قادراً على تحقيق المزيد.

كانت أتوبيسات شركة أبورجيلة، فى الخمسينيات، تنقل ثلاثة عشر مليوناً من المواطنين داخل القاهرة فى الشهر الواحد، ولم يكن الزمن الفاصل بين كل سيارتين فى بعض الخطوط المزدحمة يتجاوز ثلاث دقائق. حركة

بالغة الانتظام والدقة، أما السائقون والمحصلون والمفتشون فيقدمون أنموذجاً جديراً بالاحترام والتقدير في الانضباط وحُسن معاملة الركاب وأداء العمل على الوجه الأكمل وفق المعايير الموضوعة لهم.

بلغ عدد العمال في شركة أبورجيلة رقماً قياسياً لم تصل إليه شركة نقل داخلية من قبل: أربعة آلاف عامل، مابين سائق ومحصل وميكانيكي وإداري وناظر محطة ومفتش، أما الإدارة العامة فيشرف عليها أبورجيلة بمنهج بين الدأب والبساطة، مع ولع بتقديم كل ماهو جديد يضفي على أجواء الحركة مزاجاً إيجابياً، فهو أول من استخدم أجهزة الراديو في سيارات الأتوبيس، وهي فكرة تعرضت في بدايتها للسخرية والتهكم، شأن كل جديد غير مألوف، ثم لاقت نجاحاً واستحساناً.

المسألة هنا ليست «تقليعة» شكلية بعيدة عن جوهر العمل الخدمي، فالمستهدف أن يجد الزبون المستهلك مناخاً إيجابياً ترفيهياً يدفعه إلى التشبث بوسيلة انتقال دون أخرى، في سياق التنافس المشروع.

في جراچات أبورجيلة، كان عدد غير قليل من العمال يتولون مهمة تنظيف الأتوبيسات يومياً لتحتفظ بالمظهر الجميل الذي يضفي على الشركة سمعة وشهرة، وكان

«تعقيم» أسطول السيارات يتم بالمواد المطهرة مرتين أو ثلاثاً فى الأسبوع!.

سيارة الأتوبيس ليست مجرد مركبة تسير فى الشارع، بل إنها جزء من نسيج الحياة اليومية للمواطن العادى، فهو يستخدم وسيلة النقل الشعبية مرتين على الأقل كل يوم، ومن حقه، وواجب الشركة بالتبعية، أن يقضى هذا الوقت مستمتعاً بالمعاملة الطيبة والجو المريح، وأهم من هذا كله أن يكون الانتظام قائماً بلا تأخير. المسموح لسائقى سيارات أبورجيلة لا يتجاوز التأخير دقيقة واحدة، ثم يكون التحقيق لمعرفة الأسباب!.

-٦-

واقعة حقيقية، بسيطة بقدر ما هى دالة، تكشف عن المنهج الذى كان عبداللطيف أبورجيلة يدير به إمبراطورية الأتوبيس التى يملكها. كان المعروف عنه أنه يحرص على ركوب إحدى السيارات مرة واحدة على الأقل كل شهر، على اعتبار أنه مواطن عادى من الملايين الذين يركبون. الأغلب الأعم من السائقين لا يعرفونه، وحتى الذين يطالعون صوره فى الصحف لا يتخيلون فكرة ركوبه.

تشاجر أبورجيلة مع واحد من هؤلاء السائقين، فقد تجاوز محطة من المحطات المقرر له أن يقف فيها، واحتج الراكب المليونير فلم يلق إليه السائق بالاً، واستمر في معاملته بلا مبالاة أو اهتمام. تطور النقاش إلى درجة من الحدة دفعت السائق إلى التساؤل ساخراً: «وإيه يعنى ياأخى.. أنت مين علشان تراقبنى»؟، ورد الاقتصادى الكبير فى هدوء: «أنا أبورجيلة»!.

الإخلال بنظام العمل جريمة، والإصرار على الخطأ خطيئة، ولا معنى للحديث عن الحوافز والمكافآت دون حديث مماثل عن عقوبات تُوقع على المهملين والمقصرين. كان أبورجيلة يعمل ساعات أكثر من أصغر العاملين عنده، وكان يوزع على أبناء العمال من الطلاب نقوداً من جيبه الخاص بعيداً عن حسابات الشركة، وفى المقابل لا تهاون مع أحد. طبق نظاماً فريداً في الحوافز، فعند انتظام العامل لمدة أسبوع متواصل تُصرف له مكافأة، ولو لم تدخل السيارة الإصلاح أسبوعاً كاملاً تزيد المكافأة، ثم تتضاعف إذا استمرت السيارة شهراً كاملاً بلا إصلاح.

لا تستقيم الإدارة بلا ضوابط أو معايير، ويرى

أبورجيلة أن العامل المصرى أحسن وأمهر عامل فى العالم إذا تعلم وفهم واجباته وحقوقه، وهو الأسوأ إذا نال حرية أقرب إلى الفوضى!.

- ٧ -

لم يكن البقاء فى مصر ممكناً بعد قرارات التأميم، واضطر عبداللطيف أبورجيلة أن يعود إلى إيطاليا، أما مرفق النقل العام فقد شهد بعد غيابه انهياراً شاملاً، تشهد عليه مئات الرسوم الكاريكاتورية فى المجلات والصحف المصرية خلال حقبتى الستينيات والسبعينيات. تبخر النظام الدقيق الصارم، وتحول السائقون والمحصلون إلى التعالى واللامبالاة، وغابت الصيانة عن السيارات فتزايدت الخسائر من عام إلى عام، وأصبح ركوب الأتوبيس مغامرة غير مأمونة العواقب، يخوضها المواطن متخوفاً، وينتهى منها محبطاً!.

خلال سنوات غربته، قدم أبورجيلة تجربة ناجحة في الخرطوم، واستدعى بيت خبرة بلجيكى ليضع حلولاً علمية عملية للمشكلة المرورية التى تعانى منها العاصمة السودانية.

حقق الرجل إنجازاً لم يبخل عليه بكل ما هو

ضــروري من دراســة وتخطيط، وحـقق أرباحـاً طائلة، وكانت مصر أولى بعمله.

عـاد أبورجـيلة إلى مـصـر في النصف الثـاني من السبعينيات، وكانت وصيته أنه لا نجاح لهيئة النقل بمعزل عن محاربة الرشاوى والسرقات والإهمال والتسيب. وقبل سنوات طوال من تنفيذ مشروع مترو الأنفاق، ألح أبورجيلة على حتمية وجوده. كانت التكلفة سنة ١٩٥٧ لا تزيد على ستة ملايين جنيه، لكن أحداً لم يستمع إليه.

عاد الرجل ليتحدث كأنه ينشد قصيدة رثاء: «أريدك أن تدخل أى جراج فى القاهرة. شىء قذر. برك من الزيوت والشحومات وصبية ملوثون بالطين وبقايا الزيت المحترق. فى الماضى كان مجرى السيارات فى الجراج مصنوعاً من القيشانى الأبيض.. لو اتسخ لعاقبت المسئول فوراً.. الآن الكراسى فى السيارات ملطخة بالشحومات والزيوت. السائق الآن يقف عشر مرات فى الطريق مرة للطعام وأخرى للشاى وثالثة للعصير ورابعة للسلام على ابن عمه القادم من البلد»!.

عاد أبورجيلة بلا ضغينة، وعمل فى مجالات أخرى بعيدة عن النشاط الذى يقترن باسمه. لم يكن اقترابه

من السبعين حائلاً دون العطاء، ومثل هذه الاستمرارية متوافقة مع فلسفته التي تعلي من شأن العمل، ولا ترى للحياة معنى ما لم تكن مسكونة بالإنجاز والبساطة والأمل، مثله في ذلك مثل أولاد البلد الذين يعشقون الحياة والوطن.

# الفصل الرابع
# كلمات ودلالات

- ١ -

فى عشرات الأحاديث الصحفية التى أجريت مع عبداللطيف أبورجيلة، تظهر عبارات دالة تجسد أفكار الرجل ورؤيته وفلسفته.

ابن البلد المثقف المسكون بالتجارب والخبرات، البسيط المرح الذى لا يعرف المراوغة والادعاء، الحكيم الذى يقدم خلاصة حكمته في عفوية أخاذة تجمع بين العمق والوعي.

حصيلة تزدحم بعشرات الكلمات الدالة، فلم يكن بد من اختبار الأهم والأكثر تعبيراً عن الجديد الذى نحتاجه الآن أكثر من أى وقت مضى. روشتة نجاح لمن يريدون التعرف على أساليب العمل المثمر، ونصائح لا جفاف فيها أو تقعر. لا يدعى امتلاك اليقين المطلق ولا يحتكر الصواب، لكنه يقول ما يستدعى التأمل والاستيعاب.

- ٢ -

(أنا لست مليونيراً.. أنا رجل أعمال. المال فى نظرى ليس سوى وسيلة أستطيع أن أحقق بها عملاً جديداً).

الفارق ليس لغوياً بين مصطلحى «المليونير» و«رجل الأعمال»، فالتميز بالغ الأهمية فى الكشف عن جوهر

الرؤية التى يتمسك بها عبداللطيف أبوزجيلة، ولا يمل من تكرارها.

قد تكون مليونيراً بلا عمل، وقد تكون رجل أعمال بلا ملايين، وفى الحالتين ينتصر العمل على التبطل، ويتفوق النجاح على السلبية. المال لا يمثل هدفاً فى ذاته، فهو مجرد وسيلة لتحقيق قيمتين إيجابيتين لا غنى للحضارة الإنسانية عنهما: العمل والنجاح.

أن تكون مليونيراً لا يعنى أن تُدان أو تُمدح، ذلك أن الجدير بالاهتمام هو الأسلوب الذى تجنى من ورائه الملايين، والطريقة التى يتم توظيفها بها.

لو خُير أبورجيلة لاختار أن يُوصف بأنه من العاملين لا الأغنياء، فلم يكن يوماً من أصحاب الثروات الطائلة الذين لا يضيفون شيئاً. إنه رجل عمل يسعد بالإنجاز، دون انشغال بالعائد المادى وحده.

- ٣ -

(إن الناس لا يعرفون مدى مسئولية صاحب المال.. لا يعرفون أن المال شىء رهيب مخيف.. عجلة تدور والنتيجة واحدة من اثنتين، أن تفوز أنت، أو تفوز هى وتقضى عليك).

الوظيفة الاجتماعية لرجال الأعمال وما يمتلكون من

أموال، والمسئولية التى يتغافل عنها بعض من يتصورون أنهم يعيشون فى جزيرة خاوية من البشر.

الإنسان الواعى السوى هو من يخوض صراعاً مستمراً ضد ديكتاتورية المال، فيسعى إلى التحكم فيه ويسمح له بأن يحكمه. مباراة حافلة بالمخاطر والمخاوف، وليس أصعب على الإنسان، وبخاصة إذا كان من كبار الأغنياء، من الاستسلام لسلطان المال، فهذا الاستسلام هو الخطوة الأولى ليفقد إنسانيته.

فى هذا السياق وحده يمكن فهم وصف أبورجيلة للمال بأنه «شىء رهيب»، فهو يؤكد بذلك إحساسه المرهف بالمسئولية التى تتجاوز الذات، ويبرهن على وعيه الناضج بما ينتظره المجتمع من عطاء إيجابى يتوافق مع الثروة الممنوحة، وما يطمح إليه رجل الأعمال نفسه ما يطمح مع الحياة وتوافق مع من يشاركونه فيها.

-٤-

(المال شىء غير مهم. المال لا يمنحك الذكاء والتفكير، لكن العقل نفسه هو الذى يمنحك هذا).

البطولة عند عبداللطيف أبورجيلة من نصيب العقل والتفكير العلمى والقدرة على الابتكار والإبداع. من يملك هذه الأسلحة لن يجد صعوبة تذكر فى تحقيق

الثراء وجنى المال، وفى المقابل لا قدرة لملايين العالم على أن تصنع عقلاً واعياً، أو تمنح سعادة ورضا، أو ترتفع بالإنسان إلى السلوك المتحضر الذى يليق بالجلال والسحر الروحى المنشود.

قد تجوز المقارنة بين «المليونير» و«رجل الأعمال»، تأكيداً لانتصار قيمة العمل، لكن فكرة المقارنة ليست واردة عند الحديث عن «المال» و«العقل»، فلا تكافؤ أو ندية بينهما.

من المنطقى والمبرر إذن أن يؤكد أبورجيلة أن المال ليس مهماً أو قادراً على المنح والعطاء، فالعقل وحده هو السلاح الذى لا غنى عنه، وهو الصانع الحقيقى لكل إنجاز وتقدم. المال من ثمار العقل، وهى ثمرة لا تمثل فى ذاتها شيئاً يرتقى بها إلى مقام الشجرة الأم: العقل.

- ٥ -

(نصيحتى للمبتدئين فى التجارة والصناعة: العزيمة القوية وإعادة الكرة مرات ومرات حتى يتحقق النجاح).

إذا نصح رجل فى مكانة عبداللطيف أبورجيلة فلابد من الاستماع إليه، فهو يقدم بكلماته البسيطة القليلة

خلاصة تجربة شاقة، حافلة بالعمل الدءوب والجدية والكفاح. حكمة نابعة من الممارسة، وليست مجرد كلمات نظرية يسهل تكرارها دون عمق. نصيحة للشباب والمبتدئين أن يجعلوا من النجاح هدفاً لا محيد عنه، ولا وصول للهدف الثمين إلا عبر التمسك بقيمتين لا غنى عنهما: العزيمة التى تتكىء على إدارة قوية لا تعرف اليأس والاستسلام، والدأب الذى يتجاوز الإحباط وتجارب الفشل.

أبورجيلة نفسه كان مسلحاً بهاتين القيمتين، فهو ذو عزيمة فولاذية لا تنكسر، وإصرار عنيد يمحو من قاموسه مفردات الخمول والإذعان.

درب النجاح ليس ممهداً، ولا يمكن أن يكون، والوصول إلى النهاية السعيدة رهين بترجمة النظرية إلى فعل وعمل.

- ٦ -

«أنا أركب الأوبل لأننى أريد أن أصل إلى مكان أعقد فيه صفقة.. العربة فى نظرى وسيلة للوصول إلى محل الصفقة. المهم عندى هو الصفقة وليس العربة.. سواء كانت كاديلاك أوفيات توبلينج».

«ماركة» السيارة فى كلمات أبورجيلة السابقة تكثيف

لكل ما يقترن بالمظاهر والوجاهة الشكلية البراقة. كل متوج للحضارة العصرية بمثابة «وسيلة»، وتحل الكارثة عندما تتحول هذه المظاهر إلى هدف.

القيمة الحقيقية للإنسان العامل الجاد ليست فى طراز السيارة التى يركبها، لكنها فى امتلاكه للقدرة الإيجابية الفاعلة بعد أن تصل به السيارة إلى حيث يبدأ العمل، ويشرع فى الإنجاز، أى جدوى من سيارة فارهة فاخرة يتباهى بها ثرى يعقد صفقة فاشلة؟!. وفى المقابل، هل من غضاضة أو عيب فى ركوب سيارة عادية عملية تقود إلى النجاح والإدارة الصحيحة الواعية للعمل الذى تقوم به؟!.

-٧-

(إننى أقابل ما يرسله لى القدر بصبرى وإيمانى.. وأنا لا أؤمن بالحسد.. ولكنى أؤمن بالقضاء والقدر).

الإنسان يصنع مصيره وحظه، والإيمان بالقضاء والقدر يختلف عن التشبث بخرافات تحيل الفشل والنجاح إلى عوامل المصادفة والحظ وغير ذلك من مفردات فضفاضة بعيدة عن التحديد والوضوح.

من واجب الإنسان أن يسعى، وإذا صادفه الفشل ويذكر له السعى والإصرار على القيام بالواجب بدون

تقصير. في هذا الإطار يمكن الحديث عن القضاء والقدر والإرادة الإلهية التي تحكم المصادر لحكمة يجملها البشر ولا يملكون إلا الإيمان به والتسليم والاستسلام الخطير بحق هو أن يجعل المرء من عوامل خارجية «شماعة» يعلق عليها إخفاقه، ويعفي نفسه من مسئولية التقصير والتكاسل وغياب الجدية.

البطولة عند أبورجيلة أن تتلقى الضربة وتنهض، والخيبة التي لا تبرير لها أن تستسلم وتبرر بالاعتماد على كلمات مراوغة زئبقية، لا محصول لها إلا تجميل العجز والفشل.

-٨-

(مشكلة الشاب المصري في رأيي جملة واحدة Easy Money .. شاب يريد أن يحصل على كل شيء في حياته بسهولة.. يريد أن يجمع أكبر مبلغ من المال بأقل مجهود يمكن أن يبذله.. شاب يريد أن يوضع في أي وظيفة بسرعة، لكي ينال مرتباً من هذه الوظيفة ويصبح في جيبه نقود. شاب لا يريد أن يقف على قدميه ويعتمد على نفسه ويقتحم الميدان الذي يريد أن يعمل فيه. دائماً وأبداً يفكر في الواسطة.. في عكاز يستند إليه. إذا أراد

أن يعمل فى شركة، فلا يبحث عن هدف هذه الشركة ومكانه وعمله فيها، ولكنه يبحث عن صديق يعرف مدير هذه الشركة، لكى يسعى له من أجل أن يعمل).

تعود الكلمات السابقة إلى ما يزيد عن نصف قرن، لكن جوهر المشكلة لا يكاد يختلف عن معطيات الواقع المعاصر. الاستسهال داء يعطل الإرادة، ويصيب بالشيخوخة المبكرة، ويقود إلى الكسل والتواكل السلبى، ويعلى من قيمة الوساطة والمحسوبية والتطلع إلى الصعود بلا مشقة أو جهد.

ليست مشكلة شباب الخمسينيات وحدهم، فهى أيضاً مشكلة كل زمان ومكان، عندما تتراجع القيم الإيجابية: مراودة النجاح السهل، وإيثار التسلق على أكتاف الآخرين!.

- ٩ -

(أنا إنسان بسيط صريح.. زادى من الصبر والإيمان يكفى مائة رجل. كل شىء أصبح عادياً بالنسبة لى. عودت نفسى ألا يحطمنى شىء: لا الفشل يحطمنى.. ولا النجاح يحطمنى. لا الألم ولا اللذة.. لا الحيرة ولا وضوح الطريق).

يصل عبداللطيف أبورجيلة بكلماته السابقة إلى

أعماق الحكمة الصافية التى تجعله متوافقاً مع الحياة، راضياً عن نفسه وعمله ومسيرته وعطائه، قادراً على التكيف والصمود، زاهداً فى الشكوى والاحتجاج السلبى العبثى الذى لا يعنى شيئاً.

التربية الذاتية الصارمة تقوده إلى الجوهر الذى يتجاوز كل شىء مادى محسوس، فالنجاح والفشل وجهان لعملة واحدة، والألم ضرورى كاللذة والحيرة العاصفة مثل اليقين المستقر.

أن تردد الكلمات التى يقولها أبورجيلة دون تجربة مماثلة، قد يعنى رؤية هروبية مدمرة، أما أن تقول الكلمات نفسها وأنت تعتلى القمة ناجحاً متحققاً، فهذا معنى مختلف تماماً، وإيمان راسخ قوى لا تقوى عليه الزلازل والبراكين، وقدرة على التوازن النفسى تجسد خلاصة السعادة والوعى بماهية العالم الذى نعيشه.

- ١٠ -

(أتوقع كل شىء فى الحياة.. فإذا جاءت الحياة بأشيائها الكثيرة.. فإنها تصطدم برجل غارق فى اللامبالاة).

اللا مبالاة هنا مرادف للترفع القوى الواثق، وليد الخبرة والحكمة والإدراك الشامل لمسيرة الحياة

الإنسانية بكل ما تحفل به من الغرائب.

رجل الأعمال الناجح مطالب بإدراك طبيعة العالم الذى يعيش فيه، ومطالب أيضاً بتوقع المتغيرات الجذرية العاتية التى قد تقع بلا سابق إنذار أو تمهيد. إذا لم يكن مسلحاً بالوعى والهدوء ستعصف به الزوابع، ويعانى من الارتباك والاضطراب، وتأتى ردود أفعاله عشوائية انفعالية تغوص به فى بحور الرمال المتحركة، فلا يجد خلاصاً أو نجاة.

لا مهرب من هذا المأزق الخطير إلا بالتهيؤ لكل غريب مثير بعيد عن التوقع، وتربية النفس على المواجهة القوية للشدائد والأهوال، والتسلح بما يسميه أبورجيلة بـ«اللا مبالاة»، يعنى بذلك وعياً كامناً جاهزاً للانطلاق عند ظهور الحاجة إليه.

- ١١ -

(أنت تنتصر على الحياة إذا حصنت نفسك ضد التأثر السريع. عندئذ تحز أنت فى الحياة وتهزمها، بدلاً من أن تحز فيك الحياة وتهزمك!. تلك حكمة حياتى).

تحذير واضح سريع من خطورة التورط فى عملية الانفعال غير المدروس، فالانتصار على الحياة لن يكون بالمناطحة العنيدة، بل بالمواجهة الهادئة. الحياة أقوى

من الأحياء، فهى تستمر بعد رحيلهم، ولا تتوقف عند هزائمهم، ولا يتغير مسارها بسقوط أحد.

المباراة غير متكافئة بطبيعة الحال، والدفاع المنظم وحده هو الذى يقود إلى انتصار لا يحققه الهجوم العشوائى المليء بالطيش والحماس الزائف.

الانتصار على الحياة رهين الوعى بقوانينها وتفاعلاتها، والقدرة على التعامل الصحيح مع معطياتها وإفرازاتها، وتجنب الاحتكاك الانتحارى المندفع بقوة متفوقة بما يتجاوز فكرة المقارنة.

حكمة من عبداللطيف أبورجيلة أن يصعد ويهبط بلا ألم، وأن ينهض من جديد كلما تعثر وسقط. يسأله الصحفى صلاح منتصر: «لو صحوت يوماً من النوم ووجدت نفسك على الحديدة.. فماذا تفعل؟»، ويجيب الرجل بلا تردد: «أقول لك ولنفسى: هذه ثانى مرة تحدث لى.. وأبدأ من جديد».

- ١٢ -

(إننى أفضل أن أكون رياضياً محموداً وليس غنياً محسوداً).

لماذا يحسد الناس أصحاب الملايين؟!. سؤال يتردد كثيراً، ويجيب عنه عبداللطيف أبورجيلة: «لأن المال له

بريق ولمعان.. ولو عرف الناس مسئولية صاحب المال لما حسدوه. وشيء آخر، الذين يحسدون المليونير هم المتعطلون وحدهم».

المنشغلون بالعمل لا يجدون متسعاً من الوقت للحسد، أما المتبطلون فلا عمل لهم إلا التشهير بمن يعملون. بكلماته هذه يضع الرجل تحديداً لا يحتمل المزيد من التعليق، فهو ليس متهماً لأنه غني، والأعداء الذين يخوضون المعارك الوهمية ليسوا إلا مرضى بالتعطل وإهدار الطاقة.

الرياضة هي المتعة الأسمى في حياة أبورجيلة، فهو يشعر بروعة الفوز في ميدان الرياضة قدر ما يشعر به في ميدان الأعمال ودنيا الأرقام. أعطى الكثير للرياضة والرياضيين، ليس بحثاً عن الشهرة والشعبية وتسول المديح، بل لأنه يستمتع بالمنافسة الشريفة التي تخلو من الغل والكراهية.

وقصته مع نادي الزمالك برهان لا يكذب على الحب والعطاء بلا حدود.

# الفصل الخامس

# الزمالك

- ١ -

في العام ١٩١١، تأسس نادي الزمالك باسم نادي «قصر النيل»، ثم تغير الاسم في السنة التالية إلى «المختلط»، وفي سنة ١٩٤١، حمل اسم «فاروق»، وبعد ثورة ٢٣ يوليو استقر على اسمه الحالي.

من الأخطاء الشائعة الفادحة أن النادي الأهلي هو المرتبط وحده بالحركة الوطنية المصرية، في مقابل نادي الزمالك ذي النشأة الأجنبية والولاء شبه المزدوج!. يتغافل من يرددون هذه المقولة المغلوطة عن حقيقة أن الرئيس الأول للنادي الأهلي كان الانجليزي ميشيل أنس، وأن طبيعة العلاقة بين المصريين والأجانب، قبل قرن من الآن، لم يكن قوامها القطيعة الكاملة أو العراك والخصومة الدائمة، بلا تعايش أو تعاون.

كان الأولى بمن يسعون إلى تشويه تاريخ القلعة البيضاء أن يركزوا جهودهم للكشف عن أسرار وخبايا معركة التمصير التي خاضها الرعيل الأول من أبناء النادي، حتى جعلوا منه مؤسسة رياضة مصرية وطنية خالصة، يستوعب عضوية غير المصريين على أرضية أنهم ضيوف لا حقوق لهم في القيادة والإدارة.

بعد سنوات قليلة من التأسيس، قاد المصريون من

أبناء النادى العريق معركة أشبه بالملحمة، أسفرت فى النهاية عن انتخاب مجلس إدارة يرأسه الدكتور محمد بدر باشا، بوكالة مصطفى حسن، وعضوية نيقولا عرقجى ومحمود بسيونى وحسين فوزى وعبده الجبلاوى، أما أمين الصندوق فكان إبراهيم علام.

على أكتاف هؤلاء، وغيرهم من الرواد الذين ساندوهم، أكتمل انخراط الزمالك في منظومة الرياضة المصرية، نادياً رائداً وطنياً، قادراً على استيعاب الشباب وتغذية الأبدان والأرواح معاً.

أى منطق يدفع إلى التركيز على بداية مؤقتة لم تطل، والإهمال الكامل لمسيرة الإصلاح السريع وتغيير المسار؟!.

- ٢ -

كان البلچيكى مرزباخ أول رئيس لنادى الزمالك، وفى فترة رئاسته تأسس أول فريق للعبة كرة القدم، أما الرئيس الحالى فهو ممدوح عباس، وبينهما لا يظهر إلا اسم أجنبى واحد تولى الرئاسة بعد مزرباخ، بيانكى، ثم قائمة من المصريين أصحاب المكانة الرفيعة فى المجتمع: محمد بدر، محمد حيدر، محمود شوقى، عبدالحميد الشواربى، عبداللطيف أبورجيلة، علوى الجزار، حسن عامر، توفيق الخشن، محمد حسن

حلمي، حسن أبوالفتوح، نور الدالي، جلال إبراهيم، كمال درويش، مرتضى منصور، مرسى عطاالله.

تولى هؤلاء جميعاً منصب الرئيس لفترات متباينة، وإذا كان الفريق محمد باشا حيدر هو صاحب الفترة الأطول، التى امتدت ثلاثين عاماً على وجه التقريب، فإن عبداللطيف أبورجيلة هو صاحب البصمة الأكثر أهمية.

لم يكن استمرار محمد حيدر فى رئاسة النادى ممكناً بعد ثورة يوليو، فالرجل من أركان ورموز العهد البائد، وعجز الرئيس البديل محمود شوقى عن منافسة رئيس الأهلى أحمد عبود، ذى الثروة الطائلة والقدرة على الإنفاق، أما الشواربى فقد استمر شهوراً قليلة قبل أن يتخلى عن المنصب، مؤثراً التركيز على نشاطه الاقتصادى. كان عبداللطيف أبورجيلة هو القادر على مواجهة أحمد عبود فى الأهلى، وفى ظل رئاسة أبورجيلة فاز الزمالك ببطولة الدورى العام للمرة الأولى فى تاريخه، واستحق عن جدارة أن يكون أحد القطبين الكبيرين على ساحة الرياضة المصرية.

- ٣ -

العلاقة وثيقة بين الرياضة والاقتصاد، ولرجال المال

والأعمال والاستثمار باع طويل في تاريخ الأندية المصرية الجماهيرية، الأهلى والزمالك والإسماعيلى والمصرى والترسانة والاتحاد السكندرى، ذلك أنهم قادرون على العطاء، ومؤهلون للدعم والتمويل، وناجحون فى الإدارة والعمل المنظم الهادف إلى النجاح والإنجاز.

تجربة أحمد عبود مع الأهلى، فى النصف الثانى من الأربعينيات وطوال فترة الخمسينيات برهان ساطع على الدور الإيجابى الذى يمكن أن يقوم به رجال الاقتصاد الأكفاء فى خدمة الرياضة المصرية، وتجربة أبورجيلة مع الزمالك لا تقل أهمية ونجاحاً. أتيحت لعبود فترة أطول، لا تُقارن بالعامين اللذين ترأس فيها أبورجيلة نادى الزمالك، وفى المقابل لم يكن المهندس عبود من ممارسى الرياضة، أما عبداللطيف أبورجيلة فقد كان مولعاً بألعاب شتى منذ صباه وشبابه المبكر، واستمر عشقه للرياضة حتى اليوم الأخير فى حياته.

زاول أبورجيلة رياضات كثيرة، فلعب كرة القدم أثناء فترة إقامته فى السودان، وجمع بين لعبتى كرة القدم والتنس خلال سنى الدراسة فى المدرسة السعيدية الثانوية، وفى السنوات الطوال التى قضاها فى إيطاليا

عشق لعبة الجولف، وشارك فى كثير من سباقات السيارات والزوارق البحرية واليخوت، وفاز بكأس بطولة اليخوت فى عامى ١٩٥٤ و١٩٥٥، وحاز أيضاً على علم البحر الأبيض المتوسط فى صيد السمك، متفوقاً على أبطال ٨ دول شاركت فى المسابقة التى نظمتها مدينة كورسيكا سنة ١٩٥٤. وفضلاً عن هذا النشاط الجم على المستوى الشخصى، كان أبورجيلة رئيس الاتحاد المصرى لكرة السلة فى الخمسينيات.

من المنطقى أن ينشغل الاقتصادى الكبير بأعماله المتنوعة، التى تشغل معظم وقته، لكن سجله الرياضى حافل بما يجعل منه رياضياً حقيقياً ذا خبرة ودراية وعلم، فلا يشعر الرياضيون تجاهه بجفوة أو غربة.

- ٤ -

تولى عبداللطيف أبورجيلة رئاسة مجلس إدارة نادى الزمالك بين عامى ١٩٥٩ و١٩٦١، وكان المجلس الذى يقوده يضم معه الرئيس السابق محمود شوقى نائباً، ويوسف العجرودى وإسماعيل شاكر وكيلين، ومحمد حسن حلمى سكرتيراً عاماً، وحسين لبيب أميناً للصندوق، أما الأعضاء فهم توفيق الطحاوى ورزق لطفى وسعد الدين متولى وعادل الأزهرى

وعبدالمنعم وهبى ومحمد لطيف ومحمود إمام ومحمود حافظ.

بعد أيام من توليه رئاسة النادى، أعلن أبورجيلة أن المقر الجديد للنادى فى ميت عقبة سينتهى خلال العام نفسه، وأكد أن سعة المدرجات فى المرحلة الأولى قادرة على استيعاب ثلاثين ألف متفرج، على أن تصل طاقتها الاستيعابية فى المرحلة الثانية إلى أكثر من خمسين ألفاً، كما أن بناء الدور الأول من المقر الاجتماعى، لخدمة الأعضاء، سيلحق به الدور الثانى سريعاً.

لم تكن رئاسة الاقتصادى الكبير للنادى بحثاً عن الشهرة والوجاهة والمكانة الاجتماعية، فهو يملك ذلك كله، لكنه الطموح إلى البناء والتشييد والإنجاز على المستويين الرياضى والاجتماعى. التكلفة لا يستهان بها، والموارد محدودة، والدعم الذى تقدمه الحكومة لا يكفى لتحقيق كل الطموحات، ولذلك تكفل أبورجيلة بدفع أكثر من نصف التكاليف المقدرة، وكان أسلوبه فى التمويل أنموذجاً جديراً بالتأمل، فهو درس فى الاستثمار الذكى والبراعة المتكئة على الوعى بأن المسألة ليست فى المنح والهبات والتبرعات، لكنها فى امتلاك المنهج القادر على التفاعل والتواصل.

- ٥ -

شركتان كبيرتان من شركات البترول فى مصر كانتا تتنافسان على توريد البنزين والسولار لأسطول سيارات الأتوبيس الذى يملكه عبداللطيف أبورجيلة، ولدعم نادى الزمالك فى ثورته الإنشائية اتصل أبورجيلة بقيادات الشركتين مطالباً بتخفيض مناسب فى أسعار توريد البنزين، ولأنه الزبون الأكثر أهمية، فقد نجح سريعاً فى الحصول على خصم قدره خمسون مليماً فى سعر اللتر، وتحولت حصيلة هذه الملاليم إلى عشرة آلاف جنيه، بأسعار نهاية الخمسينيات، خصصها أبورجيلة بالكامل لبناء مدرجات الدرجة الثالثة فى ملعب كرة القدم، وهذه المدرجات هى التى امتلأت عن آخرها فى مباراة الكرة التاريخية عند الافتتاح الرسمى للملعب، وكان طرفاها الزمالك ودغلا براج التشيكى.

مؤسسة الزمالك الرياضية ملك للوطن، مع تبدل العهود والأنظمة، ولم تتكلف الحكومة القائمة آنذاك مليماً واحداً فى تشييد الصرح الجديد العملاق، ذلك أن الملاليم التى دبرها أبورجيلة بمهارته هى التى شيدت. كانت أرصدته الشخصية فى البنوك تكفى للتمويل دون عناء، لكنه يأبى إلا أن يضرب المثل فى فن تدبير

الموارد، فأين هو ممن يستثمرون الأندية لخدمة مصالحهم؟!.

- ٦ -

لم يكن عبداللطيف أبورجيلة، الاقتصادى الكبير وابن البلد العفوى، مبالغاً عندما قال فى حديث صحفى مع مجلة «المصور»، نشر فى السادس من مارس سنة ١٩٥٩، إن كرة القدم هى أهم شىء فى حياته، وإنها ما بقى له من مسرات الحياة.

كان الرجل صادقاً، وفى سلوكه ما ينم عن حبه الحقيقى للكرة والزمالك. لم يكن له أولاد، فاتخذ من اللاعبين أولاداً له، ولم يبخل عليهم بمعسكرات الإعداد قبل المباريات المهمة، والمكافآت المجزية بعد تحقيق الانتصارات. شهدت عزبته على مشارف القاهرة استضافته لهم فى مناسبات شتى، ولا ينسى لاعبو الخمسينيات أنه أحضر هدية الزواج للاعب يكن حسين من إيطاليا، وأنه أغدق على الكثيرين منهم بالوظائف والمعونات اللائقة.

فى حديث مع لاعب الزمالك الشهير محمد رفاعى، الملقب بالظهير الطائر، نشرته مجلة «الأهرام الرياضى»، أبريل سنة ٢٠٠٣، قال اللاعب القديم: «بعد

أن حصل الزمالك على بطولتي الدوري والكأس في موسم ١٩٥٩ - ١٩٦٠، جمعنا عبداللطيف أبورجيلة على حفل شاي، ومنح كل لاعب وقتها مكافأة ٢٥ جنيهاً، والمشكلة أن أبورجيلة قبل هذا الموسم كان قد تعرض للتأميم من الرئيس جمال عبدالناصر».

الأمر إذن صادر عن حب حقيقي ولا يقترن بالثروة الطائلة وحدها، فعبد اللطيف أبورجيلة يمنح ويحتفل بعد التأميم، بكل ما يصاحبه من مشاعر القلق وغياب الاستقرار، ولا يتراجع دعمه لضائقة يمر بها.

كان إمبراطور النقل عاشقاً للزمالك بلا حدود، وبعيداً في الوقت نفسه عن التعصب المرذول الذي يجافي الروح الرياضية الحقيقية. الأمر عنده منافسة شريفة مشروعة، يتمنى فيها النصر بطبيعة الحال، لكنه لا ينكسر عند الهزيمة، وبفضل نشأته الرياضية واتساع أفقه، كان يبشر بأفكار بالغة الأهمية لا يؤخذ بها، فمنذ نهاية الخمسينيات وهو يدعو إلى الاحتراف الصحيح كوسيلة للنهضة الرياضية: «أرى من واجبي أن أوفر أكبر عدد ممكن من اللاعبين الممتازين للنادي الذي يهمني أمره، وذلك بشتى الطرق الممكنة، ولا غضاضة عندي إذا سعيت إلى تطعيم نادينا بالعناصر القوية

الصالحة. أنا شخصياً أؤيد الاحتراف، وأعتقد أنه من مصلحة اللعبة أن تتعاون الأندية وتتضافر جهودها مع الشركات، حتى يسير الاحتراف بخطوات واسعة».

وعن العلاقة بين الدولة والرياضة، يقول أبورجيلة: «لا أعتقد أن الأندية الرياضية فى مصر، بالنظر إلى دخولها وحصيلتها المتواضعة من اشتراكات أعضائها، تستطيع القيام بالتزاماتها المالية دون الإعانة التى تساعدها بها الحكومة».

بعد نصف قرن من كلماته هذه، لا يتوقف الحديث عن ضرورة الاحتراف الحقيقى، وعن أهمية ألا تكون الأندية الرياضية الكبرى عبئاً على الدولة؛ الاحتراف فى الرياضة يعنى استثماراً مربحاً على الصعيدين المادى والمعنوى، وفض الاشتباك بين الدولة والأندية مطلب لم يتحقق بعد. الرياضة فى جوهرها متعة واستثمار ناجح قوامه الإدارة العلمية، وأمثال عبداللطيف أبورجيلة هم المؤهلون للقيادة الرشيدة الواعية.

- ٧ -

كان عبداللطيف أبورجيلة من أغنى أغنياء مصر فى الخمسينيات، إن لم يكن أغناهم على الإطلاق، لكن الحلم الذى كان يداعبه طويلاً هو أن يعود مزارعاً مثل

أبيه وجده، وأن يتفرغ لإدارة نادى الزمالك باحثاً معه عن مزيد من الإنجازات والانتصارات.

أطاحت قرارات التأميم بالاقتصادى الوطنى الكبير، ولم يعد بقاؤه فى مصر ممكناً أو مجدياً. غادر إلى إيطاليا من جديد، لكن الزمالك لم يبرح قلبه، فهو يتابع أخباره عن بعد، ويسعد بانتصاراته وبطولاته. عند عودته إلى مصر فى النصف الثانى من السبعينيات، كان الرجل العاشق للزمالك على مشارف السبعين، ولم يكن فى برنامجه أن يستقر فى القاهرة، ولذلك لم يفكر فى العودة لإدارة ناديه، قانعاً بالعطاء الذى لم يتوقف.

تحول عبداللطيف أبورجيلة إلى رمز لا ينسى فى تاريخ القلعة البيضاء، وحظى فى سنواته الأخيرة بتقدير وحب الملايين من عشاق الزمالك. صحيح أن الأغلب الأعم من هؤلاء لم يعاصروا رئاسته، وربما لا يعرفون الكثير عن تفاصيل إنجازاته ونجاحاته، لكنهم يدركون أنه تفانى فى حب ناديهم، وفى تقديم الخدمات له، ولم يكن له من مآرب أو هدف إلا أن يسعد المشجعون فينتشى بسعادتهم.

# الخاتمة

- ١ -

الشائع فى الأغلب الأعم من الكتابات التى تتناول التاريخ الاقتصادى المصرى بعد يوليو سنة ١٩٥٢، أن الثورة قد راهنت على مشاركة الرأسمالية فى تفعيل عملية التنمية، وأن الرأسماليين بأنانيتهم وضيق أفقهم هم الذين خذلوا ونكصوا وتراجعوا عن المشاركة، ومن ثم كان التوجه إلى التصفية عبر قرارات التأميم وفرض الحراسة، رد فعل لا فعلاً.

يتغافل مثل هذا التحليل عن مراعاة المخاوف المنطقية المبررة التى انتابت الرأسمالية بقطاعاتها المختلفة، لإدراكها أن نظام الحكم لا يخفى حذره، ولا يصنع المناخ المناسب للاستثمار. وليس أدل على ذلك من جملة القرارات والقوانين المقيدة للحركة، التى تضمنت إبعاداً سياسياً لكثير من العناصر الرأسمالية لمجرد أنهم رأسماليون. وقد جاء فى خطاب للرئيس جمال عبدالناصر، ديسمبر سنة ١٩٥٧، ما نصه: «إننا لا نريد أن نقضى على الرأسمالية ولكن نرى من واجبنا أن نراقبها»، ويضيف الرئيس أنه يرغب أن «يحل محل النظام الاقتصادى الاستغلالى والاحتكارى نظام اقتصادى اشتراكى ديمقراطى تعاونى».

ويصرف النظر عن صعوبة الاستيعاب الكامل والواضح لملامح هذا النظام «الاشتراكي الديمقراطي التعاوني»، فإن فكرة «مراقبة» النشاط الاقتصادي، دون تحديد معايير واضحة، تمثل دافعاً لنمو فكرة الخوف، بكل ما يترتب على ذلك من قلق واضطراب وافتقاد للاستقرار.

- ٢ -

يختلف الاقتصادي الكبير عبداللطيف أبورجيلة عن غيره من رموز الرأسمالية المصرية بعد ثورة ١٩٥٢. ليس لأنه الأصغر سناً فحسب، بل لأنه أيضاً لا يمكن أن يُحسب على النظام السابق للثورة ، وكانت إقامته الدائمة في إيطاليا.

سجله خال من الشوائب السياسية، ولم يكن قدومه إلى مصر إلا نتيجة إلحاح بعض قادة النظام الجديد، الذين يعرفون كفاءته ويقرون بوطنيته. وخلال سنوات عمله في مرفق حيوي بالغ الأهمية والخطورة، برهن الرجل على فاعلية الدور الذي يقوم به، وكشف عملياً عن رغبته الصادقة في التوسع الإيجابي الذي يضيف إلى الثروة الوطنية. شفافيته جديرة بالاحترام، وبراعته في الإدارة والقيادة لا تحتاج إلى دليل، وإخلاصه في العمل

مشهود به، لكن هذا كله لم يشفع له، وتم وضعه فى سلة واحدة مع الجميع، دون تمييز بين صالح وطالح، وهو ما يؤكد أن النية لم تكن خالصة أو صادقة فى التعاون مع الرأسماليين الجادين الوطنيين، وأن القرارات الاقتصادية التى تم اتخاذهاجاءت لتغير آلية كاملة، دون تفكير في تقييمها وفق معايير محددة.

لم تكن ثروة عبداللطيف أبورجيلة سراً مخبوءاً، وكان صادقاً وهو يعلن عن تفاصيلها فى رسالة يتحمل بشجاعة مسئولية ما جاء فيها، فضلاً عن أن أرباحه المشروعة كانت خاضعة للقوانين الضرائبية المعمول بها، دون شبهة تحايل أو تهرب.

- ٣ -

الوطن باق والأفراد زائلون، وفى هذا السياق يمكن القول إن خسارة فادحة قد لحقت بمصر ومسيرة الاقتصاد الوطني بالضربة التى طالت عبداللطيف أبورجيلة وغيره من كبار المستثمرين. لم ينته الرجل على المستوى الشخصى، فقد وجد متسعاً للعمل والنجاح فى بلدان أخرى، لكن التدهور الذى أصاب مرفق النقل الداخلى فى القاهرة، كان دليلاً على أن إزاحته لم تحقق تقدماً فى خدمة حيوية تتعلق بملايين الناس فى حياتهم

اليومية.

لقد مثلت مشكلة المواصلات هماً دائماً منذ مطلع الستينيات، ومع تعدد الدراسات والبحوث للوصول إلى الأسباب والجذور وسبل المواجهة، فقد كان الإجماع على أن الإدارة السيئة تمثل عنصراً أساسياً فى الفشل والتدهور، وأن العلاج يتطلب رؤية استراتيجية علمية تقوم على الانضباط والدقة والأخذ بالأساليب العصرية. كان ذلك كله منهج عبداللطيف أبورجيلة، الاقتصادى الذى قدم نموذجاً فريداً فى *الإدارة الواعية*، وكانت إمبراطورية الأتوبيس التى يملكها ويديرها عنواناً على النجاح والالتزام.

لم تكن تجربة عبداللطيف أبورجيلة كابوساً مزعجاً يستدعى التأميم، ولم يكن البديل الذى جاء بعده وردياً منعشاً، فالحقيقة الراسخة تشير إلى أن الأمور قد تدهورت إلى الأسوأ، ووجد فنانو الكاريكاتور فى الواقع الجديد مادة خصبة للسخرية والنقد، ولم تفلح الشعارات الإنشائية فى تجميل الصورة.

- ٤ -

الدرس الأكبر المستفاد من تجربة عبداللطيف أبورجيلة يتمثل فى ضرورة الثقة بالعاملين الجادين، وألا

يكون التمسح بالكلمات الفضفاضة تعويضاً عن الإخفاق في تقديم خدمة متميزة.

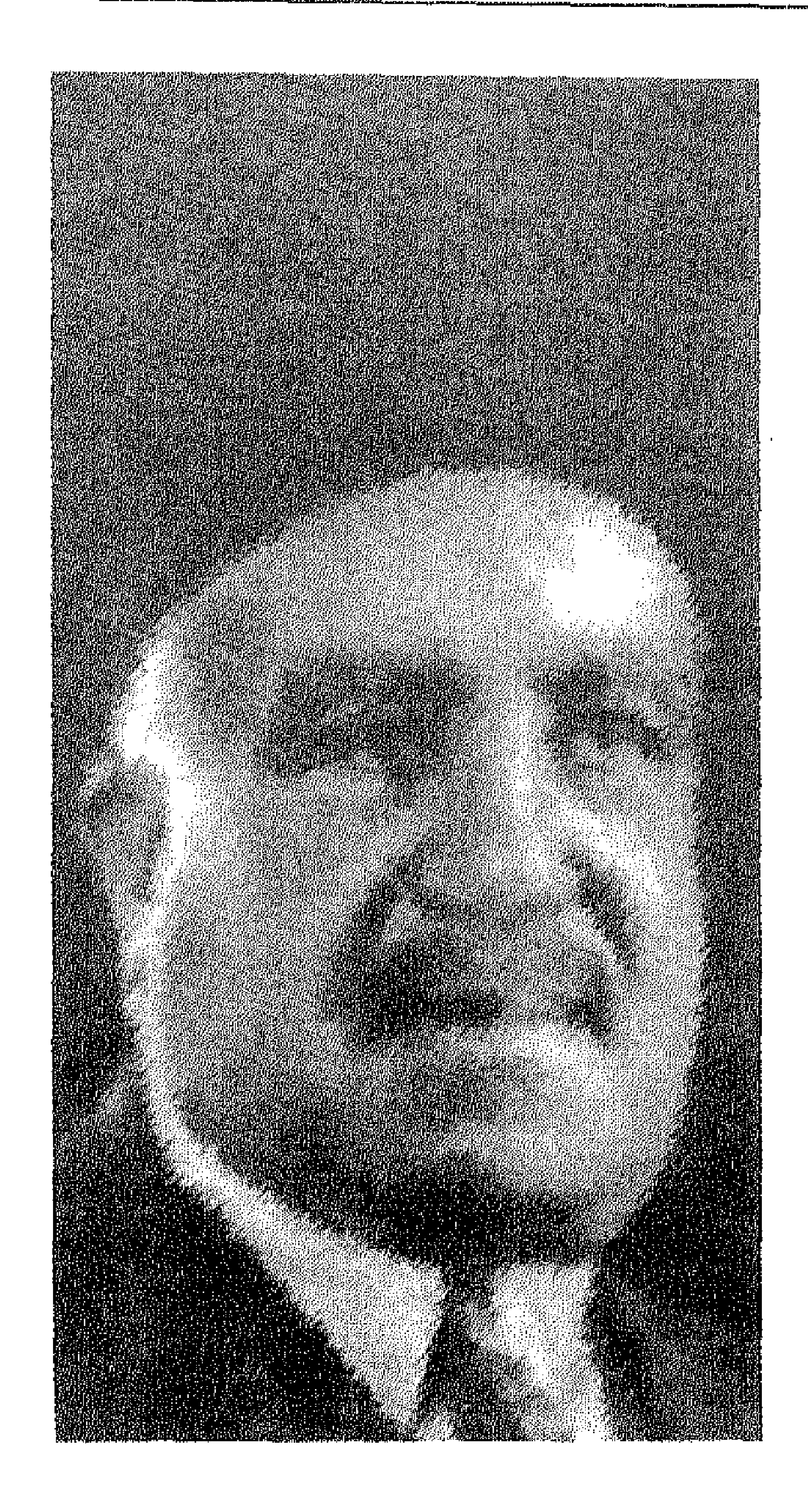
لقد امتد العمر بالاقتصادى الكبير ليعود إلى مصر بعد سنوات من إبعاده، وشهد بعينيه ما وصلت إليه الفوضى المرورية فى كافة الجوانب. لم يكن ساخراً أو مبالغاً عندما قال إن أزمة المواصلات فى القاهرة يمكن أن تحل قبل أن ينتهى من فنجان قهوته، فهو يدلل على ذلك بمجموعة من النصائح والتوصيات، التى تتجاوز الازدحام والكثافة السكانية، فيطالب بإعمال القانون والأخذ بسياسة الثواب والعقاب والاهتمام بالصيانة والتدريب والاستعانة بالخبراء من أصحاب الكفاءة.

... ولكن أحداً لم يستمع إليه!.

# ملحق الصور



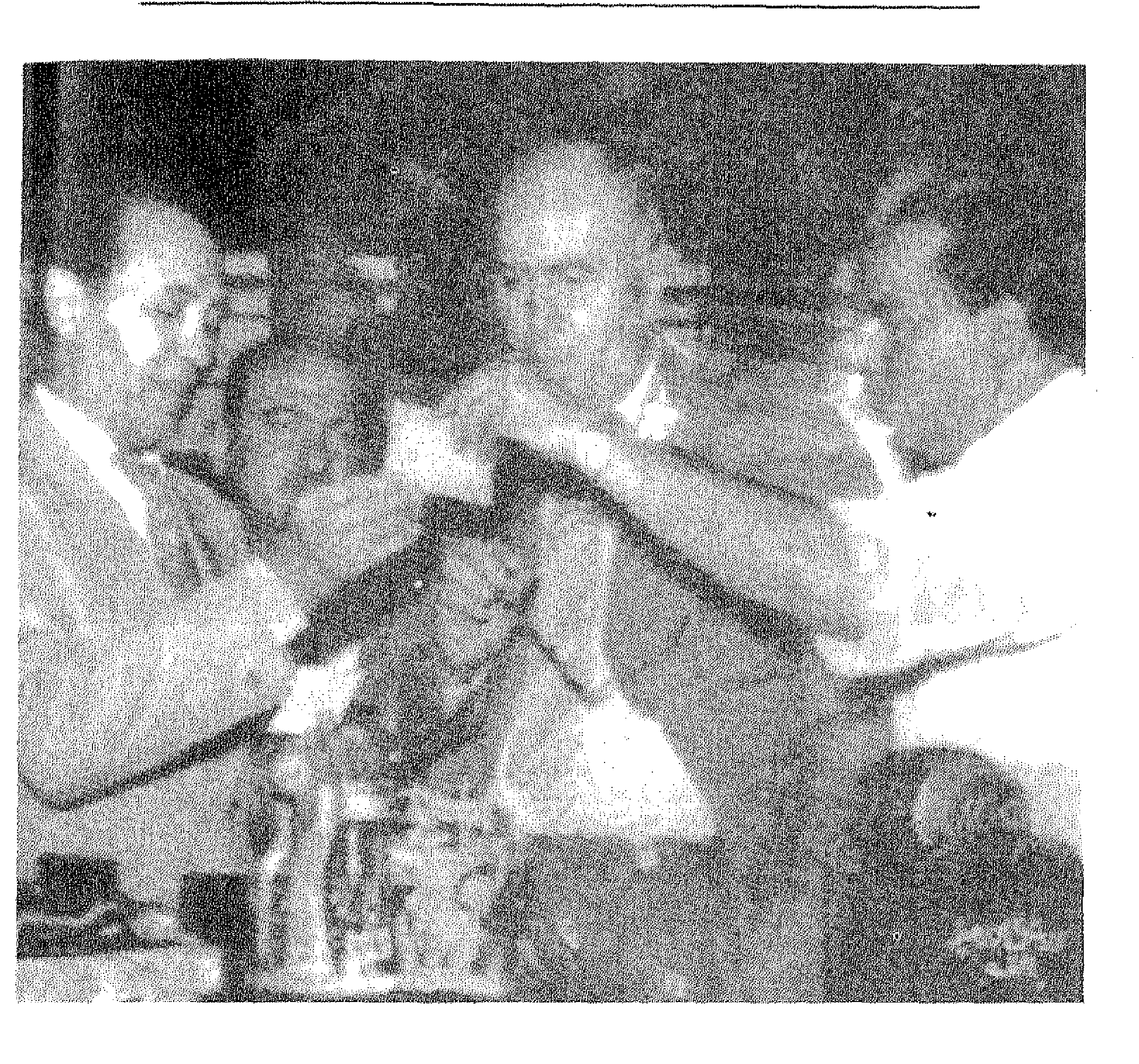
فلسفة الإدارة



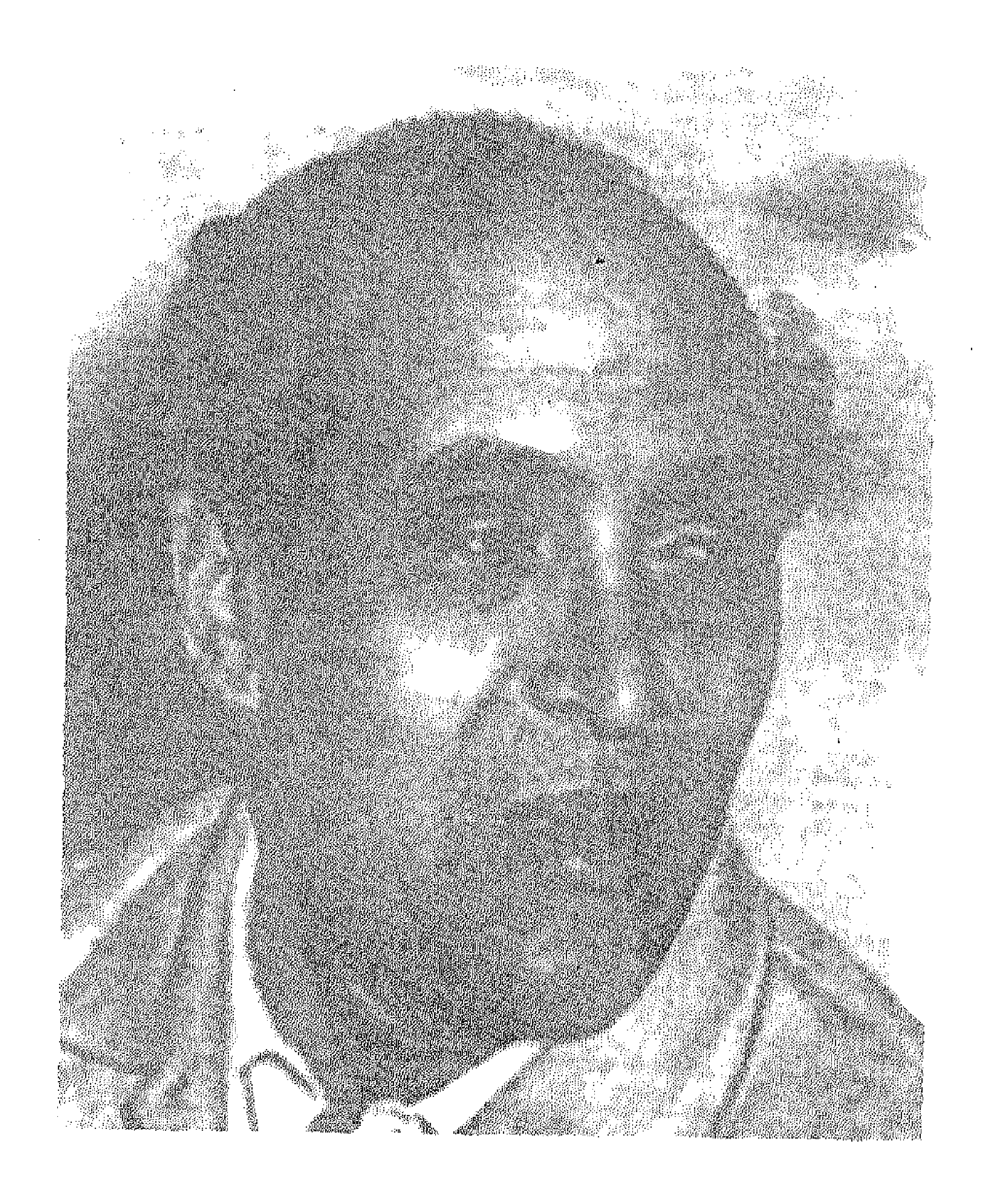
طلعت حرب
فى مدرسته تخرج عبداللطيف أبورجيلة



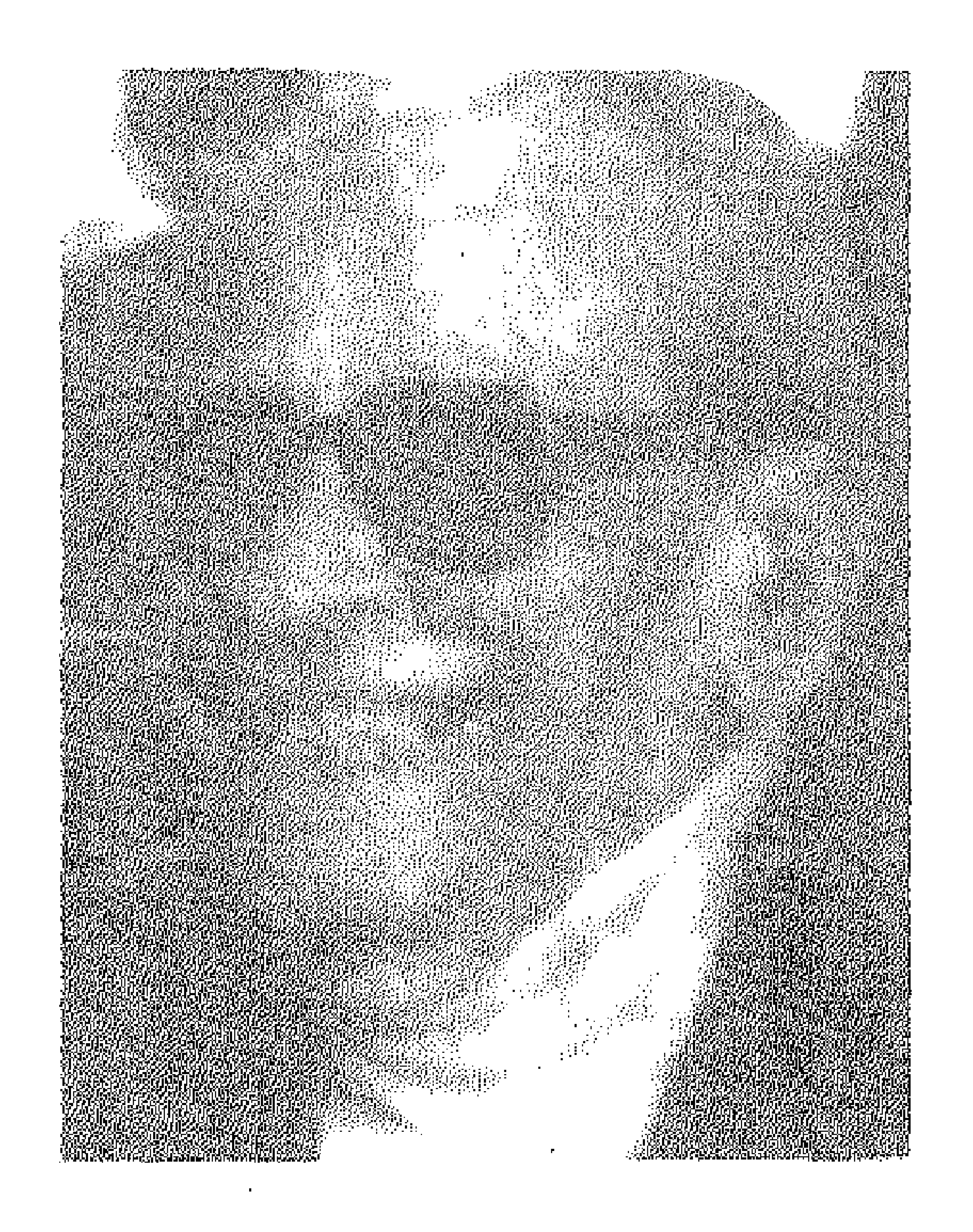
تفاؤل ومرح



المهندس محمود رياض مدير عام بلدية القاهرة يتفقد الورش الخاصة بخطوط القاهرة وإلى يمينه عبداللطيف أبورجيلة مدير خطوط القاهرة



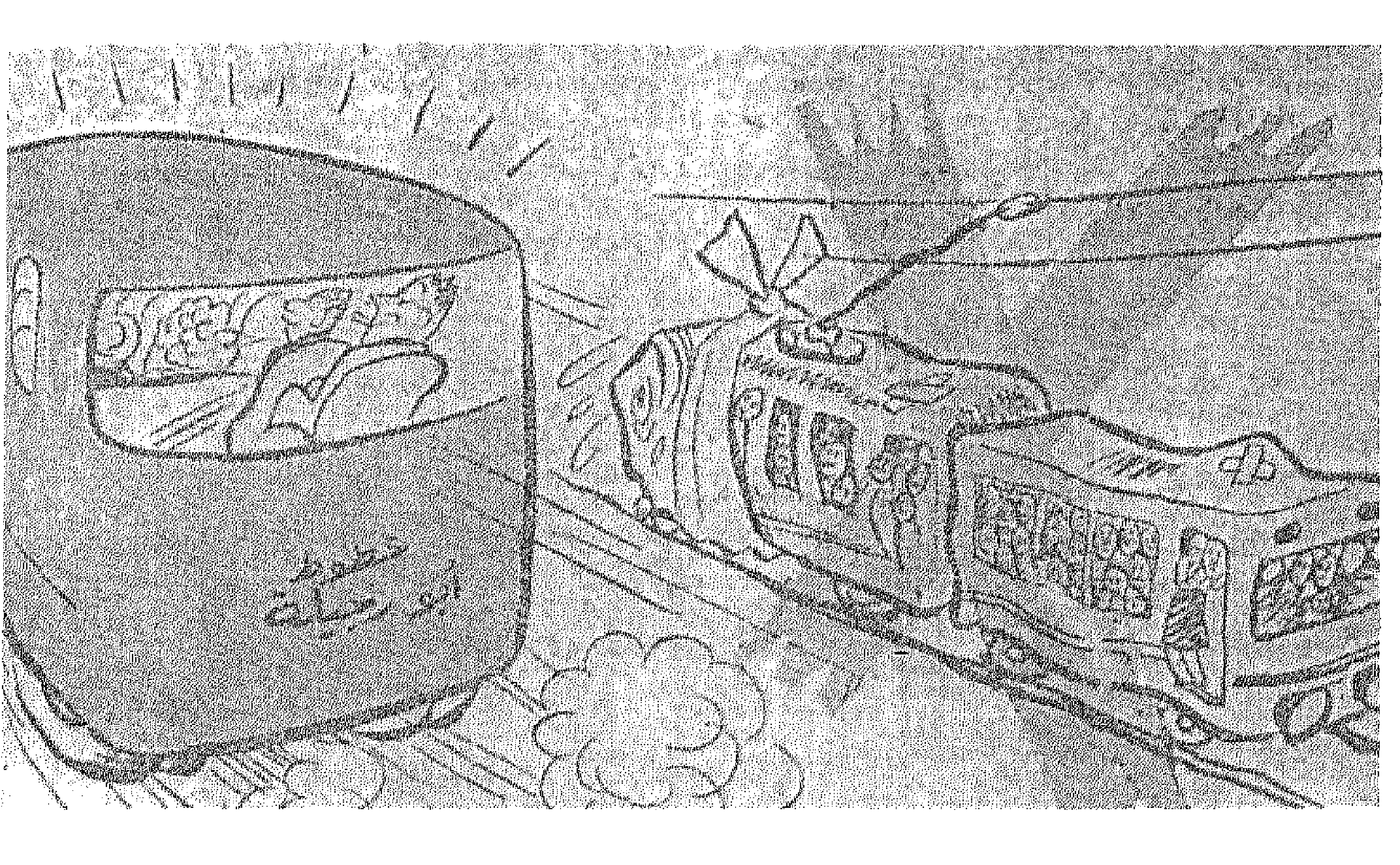
ابن البلد



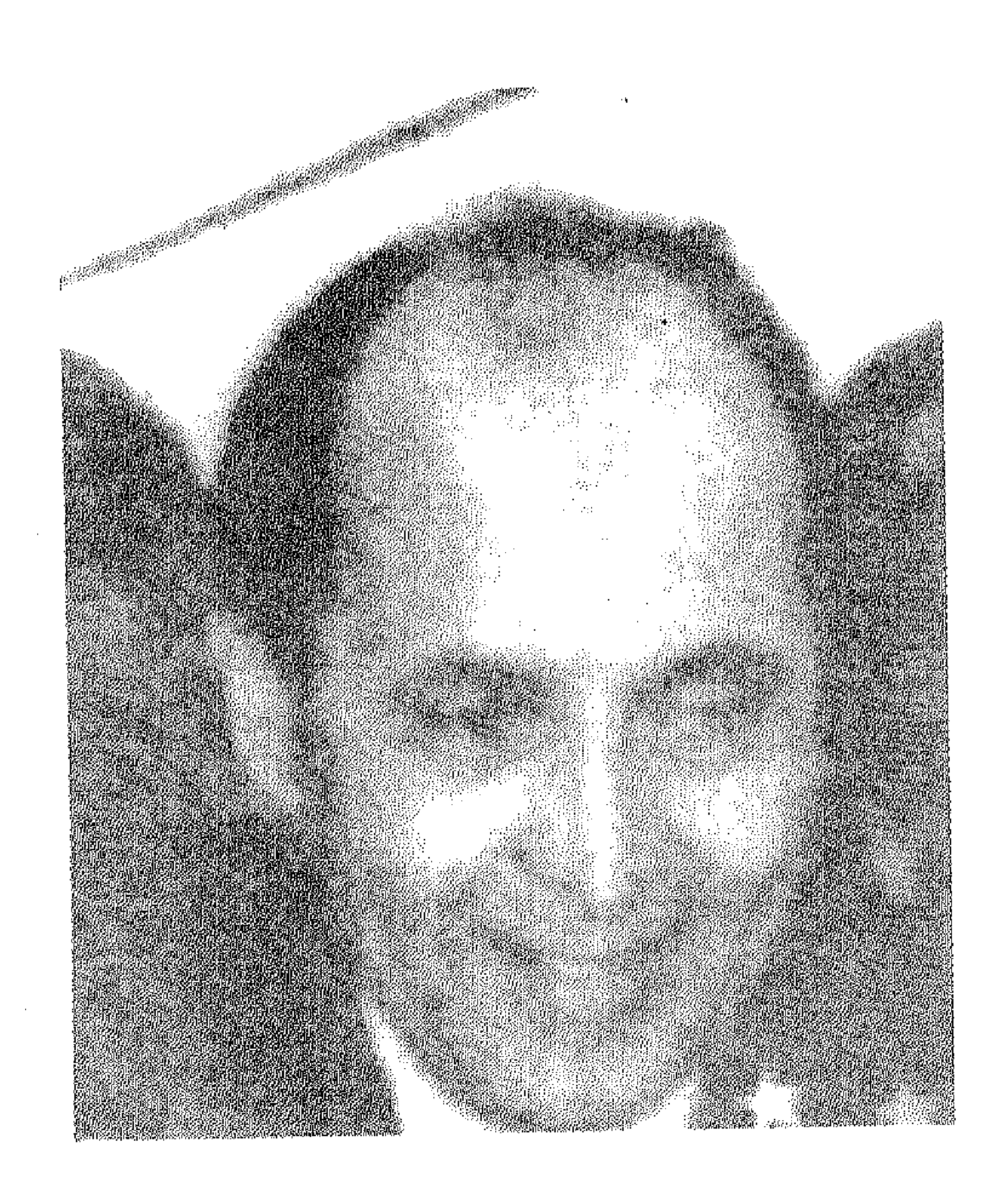
نجيب محفوظ
شهادة عن المواصلات



فترة نقاهة



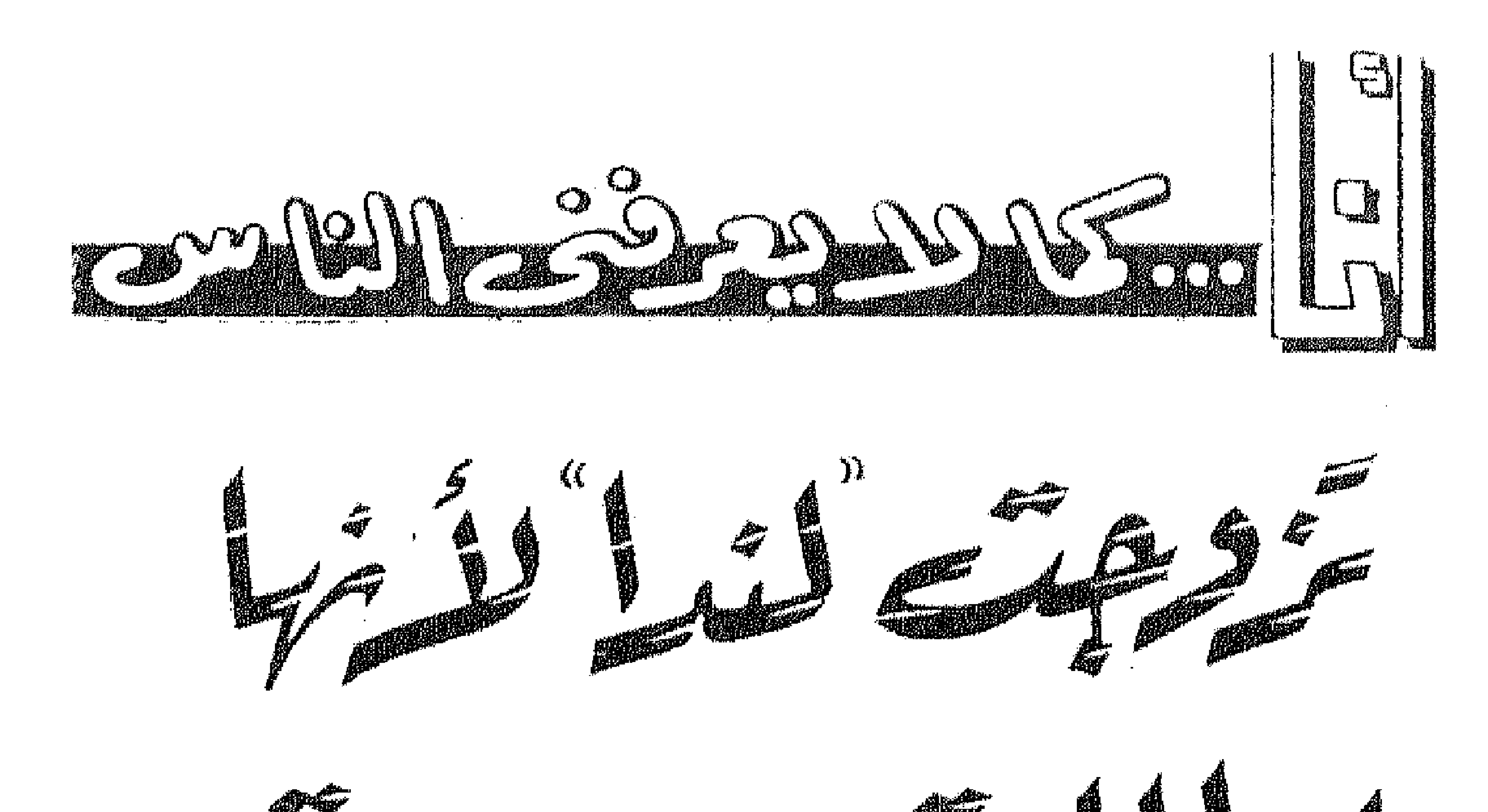
هناك فرق



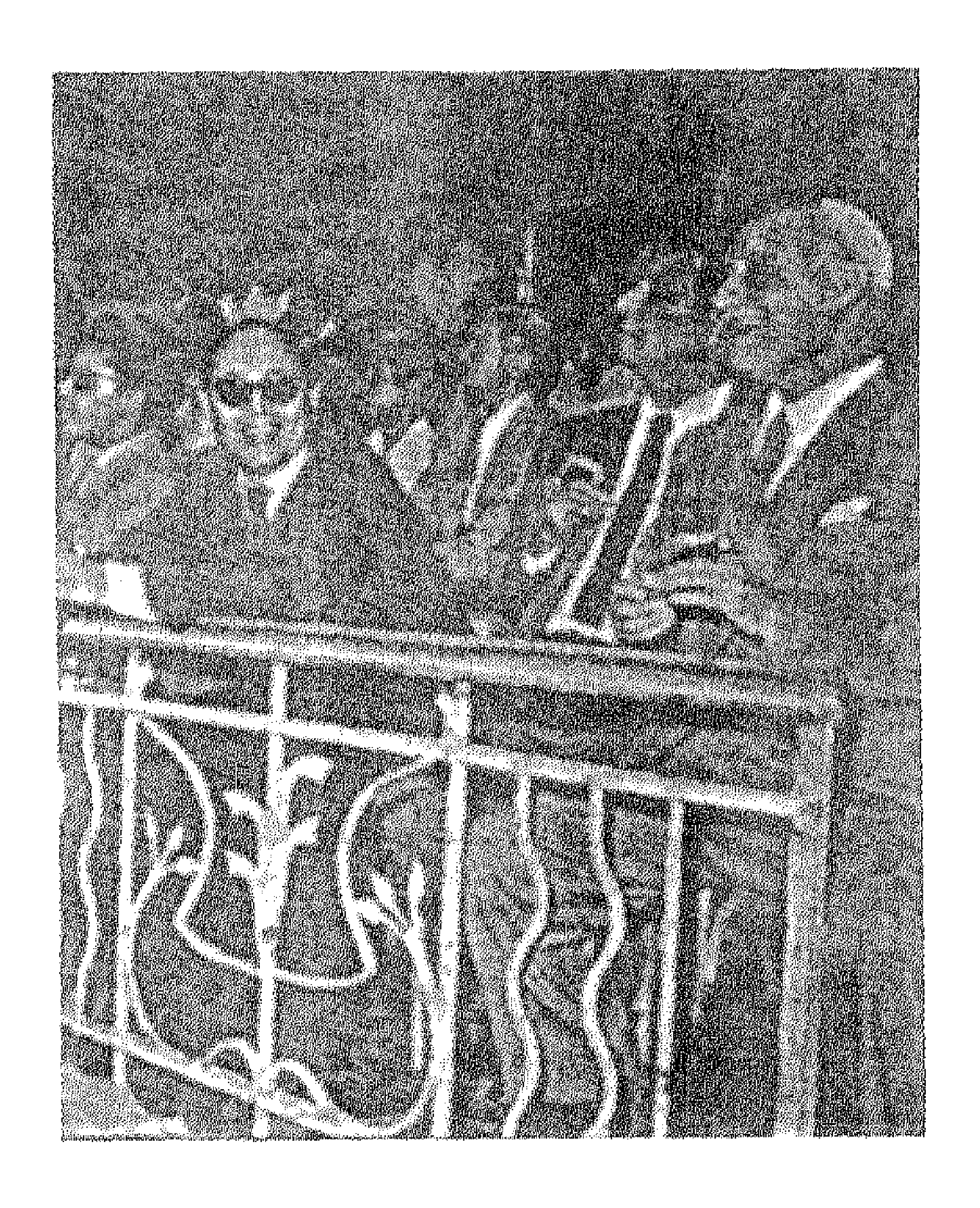
عاشق العمل والنجاح



المشير عبدالحكيم عامر يحيى الجماهير قبل لقاء مصر مع تركيا باستاد الزمالك وبجواره عبداللطيف أبورجيلة واللواء يوسف العجرودى وحسن حلمى




عبد اللطيف ابو رجيلة



عاشق الكرة




عبداللطيف أبورجيلة كانت المواصلات فى أيامه لا تشكل أى مشكلة
الأتوبيسات كثيرة والصيانة ممتازة والمواعيد مضبوطة

القاهرة في ٢٦ أغسطس سنة ١٩٥٢

نص اقرار [illegible]

بما انني سبق أن تقدمت الى السلطات المختصة في ايطاليا بطلب تحويل ايراداتي الى مصر ولكن هذه السلطات رفضت هذا الطلب بحجة انني لم أقم باستيفاء [illegible] المطلوبة لي من وزارة الخزانة واستاذنت من العقود التي ابرمتها معهم بشأن استيراد [illegible] من ايطاليا واني كنت مسؤلا امامهم .

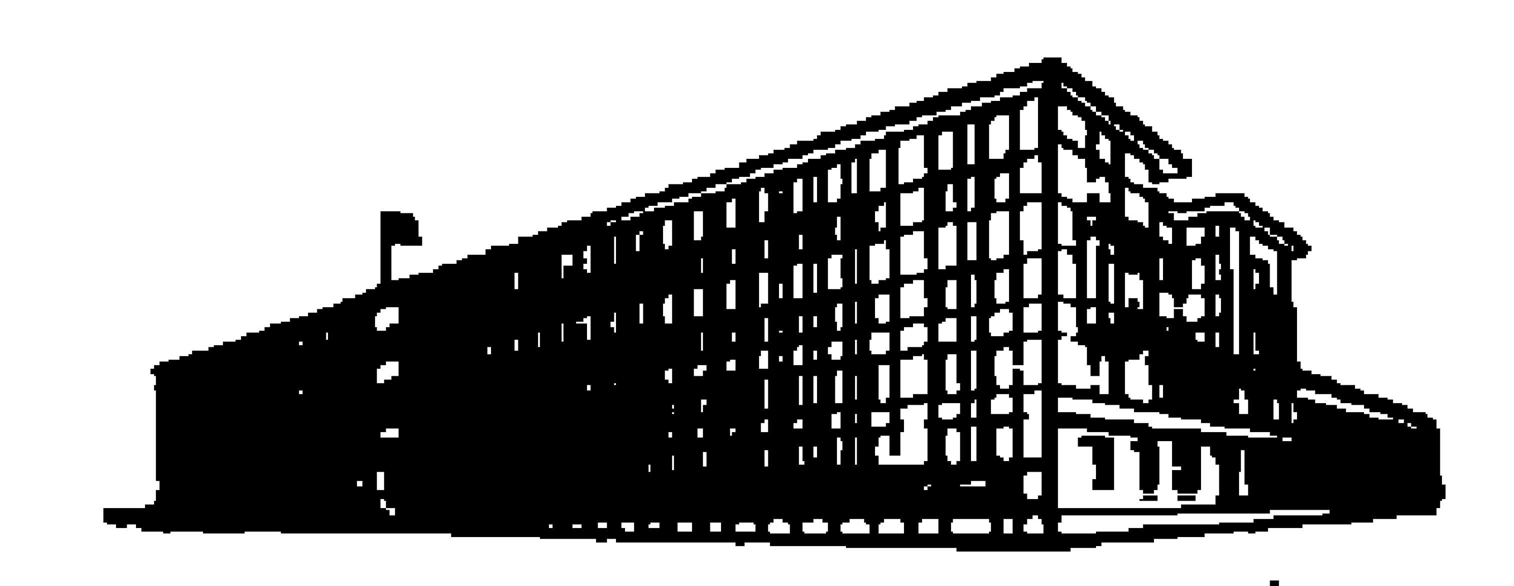
وبما انني قد أخذت السعي للموافقة على اجراء هذا التحويل في صورة [illegible] أقوم بتصديرها الى مصر وقد قمت فعلا باستيراد ماكينات [illegible] في حدود [illegible] وثلاثين الف جنيه في عام ١٩٥٥ . وما زلت اسعى لانجاز هذا التحويل في صورة بضائع على نطاق أوسع وقدمت بذلك طلبا الى السلطات الايطالية والمصرية لاستيراد بضائع في حدود مائة الف جنيه بدون مقابل .

وبما انني سبق أن اثبت في اقرارات الضريبة على الايراد العام ايراداتي في الخارج .

واظهارا لتعاوني الكامل ، فانني اقر بموجب هذا انني على استعداد [illegible] ايراداتي في ايطاليا الى مصر ، واذا لم يتيح [illegible] لي ذلك فانني اطلب من السلطات المصرية معاونتي لدى السلطات الايطالية لحصول على هذا التحويل .

# الفهرس

رقم الإيداع
٢٠١٠/١٥١٥٨



الطباعة : مؤسسة دار الهلال ـ القاهرة

## صدر من هذه السلسلة



١ - ملك القطن (أحمد فرغلى باشا)



٢ - العصامى (أحمد عبود باشا)



٣ - الملتزم (أنطون سيدهم)

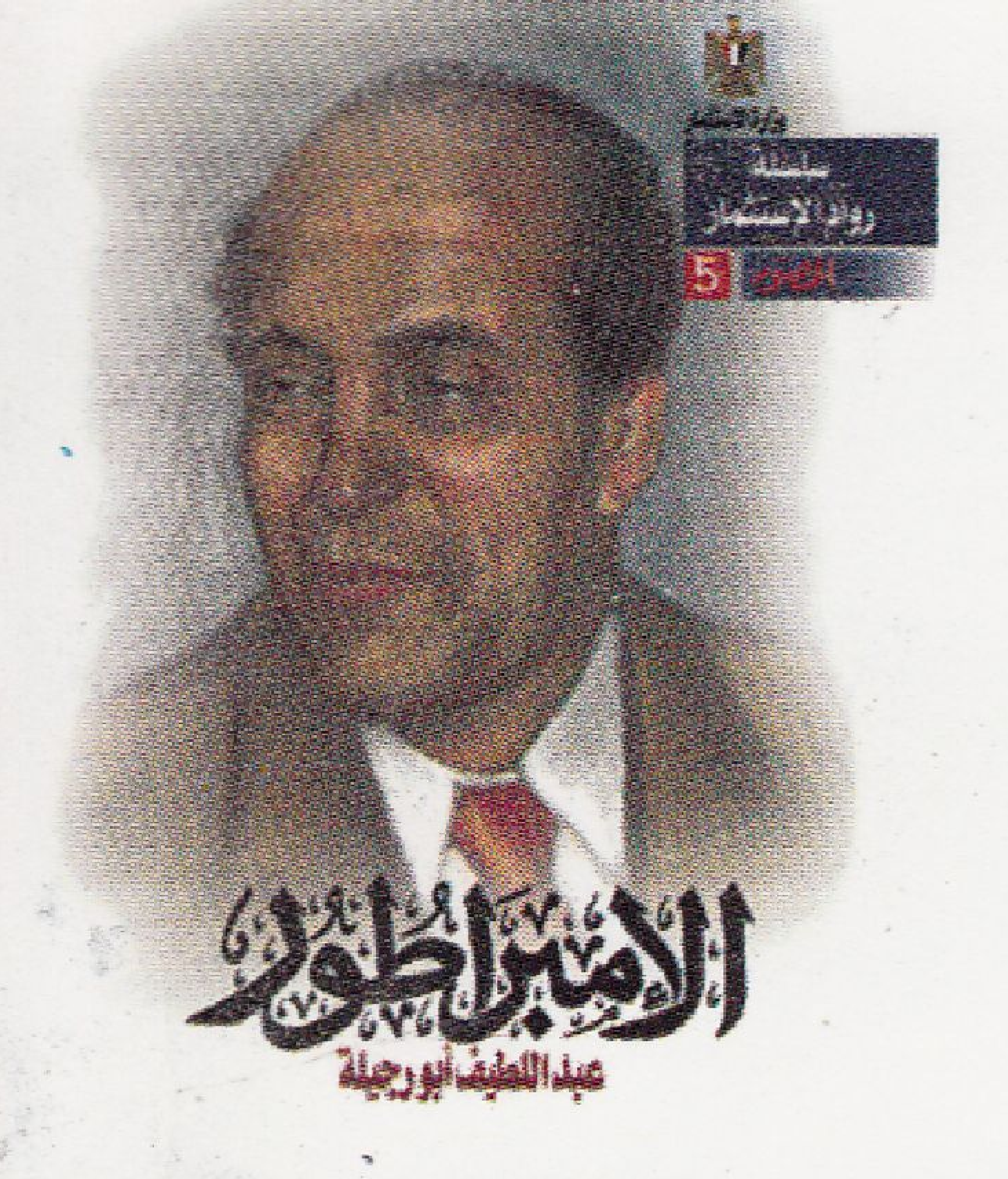


٤ - الرائدة ( فاطمة اليوسف)

## الفنان
## محمد فوزى

أبدع محمد فوزى وتألق مطربا وملحنا وممثلا ومنتجا سينمائيا وليس فى هذا كله ما يستدعى أن يصنف كواحد من رواد الاستثمار فى تاريخ الاقتصاد المصرى ، لكن الحقيقة التى ينبغى الانتباه إليها والتأكيد عليها تتمثل فى خطوته الجريئة التى دعته لاقتحام مجال غير مطروق يفرد له عن حق صفحة مهمة فى سجل الاستثمار الجاد الشجاع ونعنى بذلك تأسيسه لشركة إنتاج الأسطوانات، التى أنفق فى سبيلها جل مدخراته، وأدارها بكفاءة ونجاح ، قبل أن يتعرض للتأميم دون أسباب مقنعة ويتبخر حلم حياته متحولا إلى كابوس ، وهو ما أسهم فى تفاقم محنته الصحية التى أفضت إلى الموت المبكر .






من ليس له ماض ليس له حاضر ولا مستقبل، وماضى الاستثمار المصرى يؤذن بحاضر نلمس ثماره، ومستقبل واعد تلوح تباشيره، وما الفجر ببعيد ، هذه الصفحات بين دفتى هذا الكتاب الخامس من سلسلة «رواد الاستثمار» محاولة محمودة من وزير معتبر «الوزير محمود محيى الدين» ومن وزارة مرتبة «وزارة الاستثمار» لإعادة كتابة تاريخ الاستثمار المصرى الذين يبدو كشجرة ليمون عتيقة ، تزهر فى الربيع وتعبق رائحتها مستقبل الوطن.

حماس «دار الهلال» العريقة لإعادة طبع سلسلة ... واصطحابها كتابا تلو الآخر مع كبرى إصداراتها ... الدار صاحبة الدور الوطنى على الدور الوطنى الذى ... الوطن ورفعته، وتأكيد على أن هذا الوطن يعرف ... الذين ضحوا وبذلوا لكتابة اسمه بحروف من نور، ... عنهم لماما وتتداول شذرات جد ظالمة، آن الأوان لكتابة ... آخر يهدى الحيارى.